الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب المقارن والعالمي الموسومة بـ:

صورة اليهودي في كتاب وجهة العالم الإسلامي لمالك بن نبي

إعداد الطالبة:

بلوكريف مليكة

إشراف الأستاذ:

د. محمد عباسة

Pr Mohammed Abbassa
Université de Mostaganem

السنة الجامعية: 2023-2024

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال تعالى: "يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ ٱلعِلْمَ دَرَجَاتٍ".

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والحمد لله حمدا يليق بعظيم ذاته وجميل أسمائه وصفاته، أشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، سهل لي طريق العلم ووفقني لما يحبه ويرضاه من القول والعمل.

ويسرني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان والاحترام إلى المشرف على هذا العمل، وهو الدكتور محمد عباسة منبع العلم، أطال الله في عمره وبلغه جنة الفردوس بجوار الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

وأشكره جزيل الشكر على قبوله الإشراف على هذه المذكرة وعلى كل توجيهاته ونصائحه التي قدمها لي ووقوفه إلى جانبي في هذا العمل.

وفي الأخير أحمد الله عز وجل الذي أنعم علي بإنجاز هذا البحث.

***

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين "بلوكريف أحمد" و"هدروق مديونية"، اللذين كانا عونا وسندا لي في هذه الحياة.

وإلى شيخي الفاضل "عمر بن النجار" حفظه الرحمن ورعاه،

وإلى أختاي "نور الهدى" و"آية" اللتين هما بمثابة نبع الحب والحنان والمحفز الذي يرفع معنوياتي، وإلى عمي فاتح وزوجته عايدة، وإلى رفيقة دربي "درغام فريال" على وقوفها إلى جانبي حماها الله وسدد خطاها ووفقها وبلغها مقاصدها، وأيضا إلى صديقتي آنّ نفيسة من دولة موريتانيا،

وإلى صديقتي رحمي فاطمة محبة العلم، وإلى صديقتي

المقربة "بلغاشم إيمان" على دعمها لي.

أهدي لهم جميعا هذا العمل الذي تم بعون الله وتوفيقه.

***

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أخذ موضوع الصور الأدبية حيزا كبيرا في مجال الدراسات المقارنة، إذ يشتمل على دراسة صورة الآخر التي أصبحت من أهم وأغنى بحوث الأدب المقارن، كما أنها كشفت عن خبايا الآخر وكل ما يتعلق به.

هدف الدراسات الصورية واحد هو التطلع لمعرفة الغير وثقافته من قبل الأنا، ومن أهم مظاهر تشكل الآخر في الأدب نجد صورة اليهودي، ولقد سجل هذا الأخير حضوره في الكثير من الأعمال الإبداعية سواء على صعيد الساحة العربية أو الأجنبية.

ويعد مالك بن نبي من بين أبرز المثقفين العرب الذين أبدوا رأيهم تجاه الآخر اليهودي الذي تفاوتت صورته بين الإيجابي والسلبي.

وعليه يكون موضوع دراستنا لمذكرة التخرج الموسوم بـ"صورة اليهودي في كتاب وجهة العالم لإسلامي لمالك بن نبي"، حيث تطرقنا إلى تجليات اليهود في الجزء الثاني من هذا الكتاب، الذي جاء تحت مسمى (المسألة اليهودية)، وينتمي بحثنا هذا إلى حقل الأدب المقارن ولقد تطرقنا من خلاله إلى أصناف اليهودي المختلفة، التي اتسم بها والتي جعلت منه محورا أساسيا في تطور الحضارة الغربية التي فضل الاتجاه إليها، كما تتبعنا الصور المتعددة لليهودي وطبيعة تكوينه وثقافته خلال مساره التاريخي.

ولقد طرح هذا البحث التساؤلات الموالية:

كيف صور مالك بن نبي الآخر اليهودي في كتاب وجهة العالم الإسلامي؟ لماذا اتجه اليهودي نحو الغرب؟ وما هي أهم الملامح التي اتصف بها اليهودي خلال المراحل الزمنية التي مر بها؟ حاولنا في هذا العمل تبيان صورة اليهودي في كتاب المسألة اليهودية متتبعين في ذلك المنهج الوصفي التاريخي الذي خدمنا في إنجاز هذا البحث.

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع: السعي إلى الكشف عن الدور الذي لعبه اليهود في توجيه أوروبا. ومعرفة حقيقة اليهود والكشف عن الصور النمطية التي

ظهر بها اليهودي الأوروبي. وكذلك الإعجاب بشخصية وتفكير مالك بن نبي الذي يعد أحد أعلام الفكر العربي والذي ألف العديد من الكتب النفيسة.

موضوع صورة الآخر لازال يدرس إلى يومنا هذا، وأيضا حب الاطلاع والاكتشاف جعلنا نسعى لدراسة الآخر اليهودي من أجل إزالة الغموض عن تاريخه وشخصيته.

ولقد اعترضنا في بحثنا هذا عدة صعوبات نذكر منها: قلة المصادر والمراجع العربية التي تتحدث عن ماضي اليهود، اللغة المبهمة في هذا الكتاب تحتاج إلى شرح وتفسير ليسهل فهم معانيها، وضيق الوقت من العراقيل التي اعترضت هذا البحث.

وللإجابة عن الأسئلة السابقة تناول في هذا البحث مقدمة وفصلين وخاتمة تمثلت في مجموعة من النتائج، ولقد جاءت الخطة على النحو الآتي:

المقدمة والتي مهدت لهذا الموضوع وفيها تطرقنا إلى الإشكاليات، ثم يأتي الفصل الأول المعنون بالصورة في الأدب المقارن، تناولنا فيه مفهوم علم الصورة (الصورولوجيا)، صورة الآخر في الأدب، وسائط تلقي صورة الآخر، والتي تتمثل في أدب الرحلات، الاستشراق، وعلم الترجمة.

أما الفصل الثاني فقد جاء معنونا بصورة اليهودي في كتاب وجهة العالم الإسلامي فهو دراسة تطبيقية جاءت على النحو الآتي: ملخص كتاب وجهة العالم الإسلامي، اليهودي والحضارة الغربية والذي تطرقنا من خلاله إلى الحديث عن اليهود في أوروبا، وكذا اليهودي التائه في نفسية الأوروبي، ومن ثم قمنا بعرض صورة اليهودي عند مالك بن نبي، جسدنا من خلالها صورة اليهودي المثقف والمواطن، ثم اليهودي الحديث، وأخيرا اليهودي العالمي.

ثم خاتمة لخصنا أهم نقاط بحثنا، يليها ملحق ضم نبذة عن مالك بن نبي وأهم مؤلفاته التي أصدرها، ثم قائمة المصادر والمراجع.

ومن بين أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا البحث نذكر: كتاب "الأدب العام والمقارن" لمؤلفه دانيال هنري باجو، وكتاب "المكون اليهودي" لسعد البازعي، وكتاب "الأدب المقارن" لمحمد غنيمي هلال، وكتاب "تاريخ اليهود" لمحمد الوكيل، وكتاب "مقاربة تطبيقية

في الأدب المقارن" لمؤلفته ماجدة حمود، وغيرها من المصادر التي خدمت موضوع هذا البحث.

***

الفصل الأول

الصورة في الأدب المقارن

1 – مفهوم علم الصورة (الصورولوجيا):

حظيت دراسة الصورة في الأدب المقارن باهتمام كبير من قبل الباحثين والدارسين في الغرب وحتى عند العرب نظرا للدور الذي لعبته علاقات التأثير والتأثر بين الأمم والشعوب، وقد أطلق على هذه الدراسة "علم الصورة أو الصورولوجيا (imagologie) وهو من بين أحدث ميادين البحث في الأدب المقارن"[1].

ولقد توصل الباحثون والدارسون إلى أن ميدان الأدب المقارن من غير صورة هو مجرد ضرب من الكلام، لذا يعد علم الصورة أحد مباحث الدراسات المقارنة التي تقوم "بدراسة وتحليل ورصد الصورة الثقافية التي تكونها وتحملها الشعوب عن بعضها البعض في سياق شروط معينة"[2]، فمن خلال الصورة تتم دراسة ومناقشة الملامح والتمثلات التي يكونها مجتمع ما عن مجتمع آخر مختلف عنه.

وعليه يمكن القول بأن الصورولوجيا هي ذلك "العلم الذي يُعنى بدراسة الصور الثقافية التي رسمتها الشعوب عن بعضها، ويهتم برصد رؤى وانطباعات المجتمعات، وتأخذ الصورولوجيا على عاتقها مهمة رصد وتحليل ما يصوره الأدب في إنتاجات في لحظة اتصالية ما"[3]، إذ ترتكز دراسة الصورة على التصورات الذهنية التي أنتجها النص عن الآخر وبهذا تنعكس آراء وأيديولوجيات لدى شعب عن شعب آخر، كما حفزت الصورة على التبادل الثقافي من خلال الإنتاجات الأدبية مما أدى إلى تحقيق التقارب والتواصل بين الشعوب والمجتمعات.

الصورولوجيا حسب دانييل هنري باجو (Daniel Henri Pageaux) تعني "التعبير

1– محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، ط1، لبنان، 1983، ص 331.

2 – عبد النبي ذاكر: الصورة الأنا والآخر، منشورات دار الزمان، مجلة سلسلة شرفات، العدد 43، المغرب، 2014، ص 26.

3 – يونس الحمداني: الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى الصقر، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة ديالى، العراق، العدد 55، 2012، ص 2.

الأدبي أو غيره عن فجوة كبيرة بين نظامي الواقع الثقافي، وهكذا فالصورة الأدبية هي مجموعة الأفكار والمشاعر حيال الأجنبي، التي تتخذ في خضم التكوين الأدبي والاجتماعي"[1]، فهي قائمة بين ثقافتين مختلفتين، فالذات التي تصنع هوية خاصة بها سنجدها تعمد أيضا إلى رسم صورة عن الآخر المخالف لها في الأفكار والمعتقدات وكذا البيئة الاجتماعية.

بالإضافة إلى هذا، اهتم دانيال هنري باجو بهذا العلم واعتبره بعيدا عن العلوم الأخرى ويؤكد هذا بقوله عن الصورولوجيا بأنها "دراسة صورة الأجنبي في أثر أو أدب ما"[2]، فموضوعها قائم على دراسة الآخر، فالصورة تسعى لتقصي أوجه الاختلاف التي تفصل الذات عن الغير.

تعرفها ماجدة حمود بقولها: "هي كل صورة لابد أن تنشأ عن وعي مهما كان صغيرا بالأنا مقابلا للآخر وهي تعبير أدبي يشير إلى تباعد الدلالة بين نظامين ثقافيين ينتميان إلى مكانين مختلفين، وبذلك تكون الصورة... جزءا من الخيال الاجتماعي والفضاء الثقافي والإيديولوجي الذي تقع ضمنه"[3]، يتضح من هذا القول إن ماجدة حمود ترى بأن دراسة الصورة انطلقت من كتابات الأنا عن الآخر وذلك أن الأنا يختلف جغرافيا عن الآخرين مما يؤدي إلى تنوع الثقافات والمعارف مما يساهم في خلق تصورات ذهنية نشأت من خيال المجتمع الذي رسم صورة عن الأمم الأخرى كما لعبت الأفكار والمعتقدات دورا هاما في تجسيد الصورة.

أشار سعيد علوش إلى أن الصولولوجيا في ميدان الأدب المقارن تعني "دراسة شعب

---

1 – دانيل هنري باجو: الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، سوريا، 1997، ص 84.

2 – عبد النبي ذاكر: أفق الصورولوجيا نحو تجديد المنهج، مجلة علامات في النقد، العدد 51، 2004، ص 35.

3 – ماجدة حمود: مقاربة تطبيقية في الأدب المقارن، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2000، ص 110.

عند آخر باعتبارها صوره خاطئة... الصورولوجيا حقل لدراسة تَكُوُنْ الصورة الخاطئة في شهادات آداب الرحلات"[1]، فهي تعمل على تصحيح ودراسة الصور المشوهة والزائفة التي كتبتها الذات في نصوصها الأدبية عن الآخر، فقد جاءت لتدرس الأسباب والظروف التي دفعت الذات لتزييف الصورة القائمة على مبدأ الغيرية.

علم الصورة (Imagologie) ويطلق عليه أيضا لفظ الصورائية يرجع أصله إلى "الكلمة اللاتينية (Imago) التي تعني الصورة أو انعكاس النمط مما يترتب عنه أن دراسة الصورة أو تمثيل الآخر هو ما يصنع هدف وموضوع وقصد الصورائية"[2].

وأشارت نوافل يونس الحمداني إلى مفهوم الصورولوجيا بقولها هي "العلم الذي يُعنى بدراسة الصور الثقافية التي رسمتها الشعوب عن بعضها المنبثقة من تحت وطأة غياب أو المتسربة من مسكوت عنه وتهتم برصد انطباعات المجتمعات... في مخيال الوعي الجمعي التي تتم على أنساق معرفية عامة"[3]، فهي تعمل على تصحيح التمثلات الذهنية التي يرسمها شعب ما عن آخر.

يتمثل دورها في "رسم صورة حقيقية وواقعية للأجنبي (فردا أو شعبا) بعيدة عن التشويه والمغالطة التي يمكن أن يرسمها أدب قومي ما مدفوعا بدوافع عدة"[4]، فالصورة مجال ينقل التمثلات الحقيقية الخالية من الزيف والمتصلة بواقع الآخر.

يتضح لنا مما ذكر آنفا عن الصورولوجيا أنها قد تكون تصويرا منافيا للحقيقة ومغلوطا يلفه التزييف، كما قد نجدها عملية تصويرية تنقل وتصور الواقع بحذافره بعيدا عن

---

1 – سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، لبنان، 1985، ص 137.

2 – أسماء يوسف ديان صالح: الصورولوجيا في الرواية مقارنة بين روايات عربية وأمريكية مختارة، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق، 2014، ص 2.

3 – يونس الحمداني: الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى الصقر، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العراق، العدد 25، 2012، ص 644.

4 – المرجع نفسه، ص 8.

التضليل.

ويرى الباحثون أن الصورة ليست ثابتة "فهي تتغير بتغير الظروف السياسية والاجتماعية، والثقافية التي شكلتها وحسب العلاقات الدولية، فصورة الألماني مثلا بعد سنة 1870، كما يرى ألان منتدون (Alain Montandon)، تختلف عن صورته قبل هذا التاريخ"(1)، فصورته انتقلت وتغيرت من صورة "الألماني الحالم الرقيق، الفيلسوف، المتأمل، الموسيقي، الحساس... لتعوضها صورة مغايرة هي صورة الألماني الجندي الصلب التقني الماهر"(2)، فالملاحظ من هذا أن الصور تختلف من حين لآخر نتيجة للظروف فالألماني قبل الحرب إنسان هادئ ورقيق، لكن شرارة الحرب حولت ملامحه لشخص ذي صلابة.

كما يمكن أن تختلف صورة أمة داخل أدبها الوطني الخاص بها، وذلك نظرا لاختلاف الوسط الأدبي وأيضا لطبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية للأشخاص "فالصورة التي يحملها الأرستقراطي الفرنسي مثلا عن الألماني غير الصورة التي يحملها ابن الريف وغير الصورة التي يحملها ابن المدينة، وذلك لاختلاف الثقافة والتربية والإرث من الصور والأنماط التي توارثتها كل طبقة"(3).

ويرى مالكون نيكولسون أن "الصورة ليست جامدة بل تتبع تطور الأسس الاجتماعية لعلاقة الشعوب ببعضها والتفاعل فيما بينها، فكل صورة تنتج فيها ما يساعد مصالح اجتماعية معينة للمجتمعات السياسية التي استنبطت هذه الصورة من أجلها"(4)، كما يعتقد نيكولسون أنه "من المعقول أن تكون الصورة قد صممت لتخدم غايات أيديولوجية"(5).

---

1 – زهرة مازوني: دراسة الصورة في الأدب المقارن، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة المجلد8، العدد 16، 2016م، ص 77.

2 – Alain Montandon : Les caractères Nationaux, la littérature française, problème de méthode, Université Blaise Pascal, 2001, p. 29.

3 – نفسه.

4 – عفيف عثمان: المغرب بعيون إسلامية، الكتاب الخامس، لبنان، 1998–1999، ص 209.

5 – المرجع نفسه، ص 206.

مثلت الصورولوجيا "اتصالا مفتوحا أو مرايا تنعكس عليها سيمياء الشعوب وسماتهم المتوهجة"[1]، ومن هذا المنطلق يتضح بأن الصورة أداة تعمل على نقل ثقافات وآداب الشعوب، كما توحي برموز تميز الأمم عن بعضا البعض، فهي مرآة تعكس إيحاءات الشعوب وتبرز خصالها وملامحها وتنسج التصورات عنها.

وعليه إن "دراسة الصورة الأدبية فعل ثقافة، وممارسة إناسية (متعلقة بالإنسان) للتعبير عن الهوية والغيرية في الوقت نفسه (اللباس والمطبخ لغات رمزية أخرى) ضمن هذا المجال، للصورة مكانتها ضمن العالم الرمزي الذي نسميه خيالا والذي يسمى خيالا اجتماعيا لأنه لا ينفصل عن تنظيم اجتماعي وثقافي"[2]، فالصورة لغة تنقل لنا الطقوس الاجتماعية والتمثلات الثقافية التي ميزت الذات عن الأنا.

ربط الكثير من الباحثين والدارسين النشأة الفعلية لدراسة الصورة بالكاتبة الفرنسية مدام دو ستايل (Madame de Staël) من خلال كتابها الموسوم "من ألمانيا" الذي ألفته عندما قامت بزيارة طويلة لألمانيا، أثناء فترة العداء التي كانت بين الشعب الفرنسي والشعب الألماني، فقد حمل الفرنسيون في تفكيرهم فهما مغلوطا عن الألمان "وأثناء الإقامة فوجئت الأديبة بمدى سوء الفهم والجهل الذي يعاني منه الفرنسيون لألمانيا رغم الجوار الجغرافي، فقد تحقق لها أن الفرنسيين يجهلون أبسط الأمور المتعلقة بالمجتمع والثقافة والأدب والطبيعة في ألمانيا، فرسموا في أذهانهم صورة لشعب فَظٍّ غير متحضر يتكلم لغة غير جميلة، ليس لديه إنجازات أدبية أو ثقافية تستحق الذكر، إنها باختصار صورة يرسمها شعب لشعب آخر يعُده عدوا له لكن مدام دو ستال اكتشفت عبر رحلتها أن الشعب الألماني يتمتع بمناقب جمة (الطيبة والاستقامة والصدق) كما فوجئت بجمال الطبيعة لاسيما نهر الراين والغابة السوداء وبغنى الأدب الألماني والمستوى الرفيع الذي بلغته الفلسفة الألمانية، وهكذا كانت محصلة

---

1 – يونس الحمداني: الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى الصقر، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة ديالى، العراق، العدد 55، 2012، ص 1.

2 – دانيل هنري باجو: الأدب العام والمقارن، ص 89.

الرحلة التي قامت بها مدام دو ستال إلى ألمانيا كتابا وضعت له عنوانا بسيطا هو "من ألمانيا" سعت فيه إلى تصحيح ما في أذهان الفرنسيين من صور مشوهة عن الألمان وبلادهم وثقافتهم لهذا بإمكاننا أن نعد هذا الكتاب بداية لما أصبح يعرف بالدراسة الأدبية للآخر"[1]، ولقد أسهمت دراستها هاته في رسم صورة إيجابية عن تحضر الشعب الألماني، كما عكست هذه الرحلة ملامح عن غنى الأدب الألماني وكذا الثقافة الألمانية. ومن هنا يمكن القول بأن الصورولوجيا تعمل على تصحيح الصور المغلوطة والمزيفة، التي تقدمها الآداب الوطنية عن غيرها من الأمم بصور أخرى صادقة ومطابقة لمعايير الواقع ومن خلالها "تعرف مكانة كل أمة لدى غيرها من الأمم وترى صورتها في مرآة آداب الشعوب الأخرى"[2].

فالمجال الذي يدرس الآخر يسمح "بإغناء الشخصية الفردية من جهة والتعرف الذاتي من جهة أخرى، هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الجماعي فتفيد في تصريف الانفعالات المكبوتة تجاه الآخر أو في التعويض وتسويغ أذهان المجتمع الكامنة في أعماقه، كذلك تبين الصورة المغلوطة المكونة عن الشعب، فتسهم في إزالة سوء التفاهم وتؤسس لعلاقات معافاة من الأوهام والتشويه السلبي والإيجابي فتعطي الآخر حقه كما تعطي الذات"[3].

ولكن رغم "استفادة فرنسا من كتابات مدام دو ستايل، عن ألمانيا فإنها كانت تلاحق في نفس الآن صدى ونجاح في كتابها في إنجلترا وأوروبا، ومهتمة باستلهامات رومانسيتها للشرق... في الألوان والمشارب، لقد كانت سيطرة رحلات الكتاب الفرنسيين، وأعمال

---

1 – ماجدة حمود: المرجع السابق، ص 110.

2 – كاظم زاده فاطمة وآخرون: صورة الآخر في رواية قبل الرحيل ليوسف جاد الحق، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد 20، 2013، ص 74.

3 – ماجدة حمود: المرجع السابق، ص 110–111.

المستشرقين، مسيطرة على الخيال الفرنسي"[1]، يتضح من هذا القول أن كتاب "من ألمانيا" الذي ألفته الكاتبة مدام دو ستال لم يكن الذريعة الوحيدة لنشأة علم الصورة، بل هناك أسباب أخرى دفعت لظهوره من أبرزها أعمال الرحالة الفرنسيين إلى الشرق وأيضا الدراسات الاستشراقية التي خاضت في علوم وآداب الشرق من المستشرقين.

ولقد ألف الدارس المقارن ماريوس فرنسوا غويار (M.-F. Guyard) كتابا بعنوان "الأدب المقارن" والذي نشره عام 1951، وضّح من خلاله الطريقة التي تتم بها عملية دراسة صورة الآخر بعنوان "الأجنبي مثلما نراه"، فهو يرى أن الصورائية تقوم إما "عن طريق أدب أجنبي ما، أي تمثل شعب لشعب آخر فقد يتأثر أدباء شعب بشعب آخر ثم يترجمون ذلك التأثر إلى آراء في إنتاجهم الأدبي، فتكون تلك الآراء صورة لذلك الشعب المؤثر في أدب شعب المتأثر"[2]. أو تتم دارستها بشكل مغاير "عن طريق مؤلف أجنبي أي صورة شعب ما في أدب أديب بعينه، يتأثر أديب معين من شعب بشعب آخر ونتيجة لتأثره ذلك يرسم صورة للشعب الذي تأثر به في أعماله الأدبية مثل إسبانيا في أدب هيمنغواي"[3].

يشار إلى العلم الذي ذكر سابقا على أنه "الدراسات التي تتخذ الصورة موضوعا لها يطلق عليه الصورولوجيا، أو كما تسمى في بعض الترجمات بالصورية أو علم الصورة الذي يُعنى بدراسة الصور الثقافية التي رسمتها الشعوب عن بعضها"[4]، كما أطلق عليه لفظ الصورائية، الصوريات، الصورة الأدبية رغم تعدد واختلاف التسميات المتعلقة بعلم الصورولوجيا في حقل الأدب المقارن إلا أنها تصب في قالب واحد فهدفها وغايتها واحدة وهي التطلع لمعرفة الآخر وثقافته من قبل الأنا، بغية تصويره بشكل إيجابي أو سلبي، فكل

1 - سعيد علوش: مدراس الأدب المقارن، دراسة منهجية، المركز الثقافي، ط1، مصر، 1987، ص 58.

2 - زهرة مازوني: المرجع السابق، ص 78.

3 - نفسه.

4 - خليل باروني وسيد حسين حسيني: صورة أمريكا في شعر أحمد مطر، دراسة صورولوجية، مصر، العدد 24، 2016، ص 11.

مجتمع له رؤيته الخاصة التي يصور بها مجتمعا آخر.

وعليه يمكن القول بأن الصورولوجيا "أسلوب لدراسة صورة البلدان الأخرى والشخصيات الأخرى في أدب أديب ما أو عصر ما أو مكان ما ويهتم بصورة الآخر في ثقافة الأنا كما يهتم بصورة الأنا في ثقافة الآخر وهي تعني دراسة الصورة بين الثقافات"(1)، ويتضح من هذا القول أن دراسة الصورية تصور الأفراد كما ترصد حياة الأمم ويكون هذا التصوير في زمن معين أو مكان محدد أوفي الكتابات الأدبية لكي يتسنى للأنا الاطلاع على ثقافة الغير أو كما يدعى بالآخر المقابل له ليحصل ما يسمى بالتبادل الثقافي والفكري بين الشعوب وهذا أمر يفسح المجال أمام الأمم للتعارف والتعاون وتصحيح الصور الزائفة ليحصل التسامح والتفاهم بين الشعوب.

ويبقى علم الصورة بأبحاثه المنجزة علما يفيد توسيع أفق التفكير والكتابة فمن خلاله تتجلى نظرة فرد أو شعب إلى شعب آخر يختلف عنه في شتى الميادين. وفي الأخير يمكن القول إن الصورولوجيا أداة ترصد الصورة وتقوم بمناقشتها وتحليلها.

2 – صورة الآخر في الأدب:

يتبنى الأدب صورة الآخر ويحاول التعرف عليه للكشف عن الحقائق المتصلة به ولمعرفة توجهه، ولقد تمايزت صورة الآخر في الأدب وذلك لاختلاف وجهات نظر الأدباء فمنهم من يصور الآخر على أنه صادق ومتمدن ومستقيم ومتسامح وطيب ومنهم من ينظر إليه على أنه ذلك الهمجي والغاصب والعدو والمخرب الذي يسعى للفساد ونحن في هذا المقام سنحاول إبراز صورة الآخر في الأدب بغية نقل صور حقيقية ومطابقة للواقع بعيدا عن الزيف والتشويه.

ترجع بداية دراسة الآخر في الخطاب الأدبي عند العرب إلى التراث القديم وتحديدا في العصر العباسي مع الجاحظ إذ يعتبر أول من رسم ملامح الآخر ويتجلى ذلك في كتابه

1 – مسعود شكري: صورة الآخر الإسرائيلي في رواية المتشائل، لإيميل حبيبي، إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، إيران، العدد 26، 2018، ص 89.

"البخلاء"، فقد خصصه للحديث عن صور البخل لدى الأشخاص الذين قابلهم وتعرف عليهم وخالطهم في عصره ونقل أحوالهم وواقعهم بشكل فكاهي بعيد عن التزييف فهو لم ينظر لهم بصفه عدائية، بل أعجب بهم وبسمات النبيلة التي تحلوا بها، إذ دون في كتابه هذا عادات فارسية محمودة تتعلق بآداب المائدة، فالفرس عند تناول الطعام "يعيبون الحسو أي شرب المرق من الإناء وتقززوا من التعرق أي نهش ما على العظم من اللحم، وبهرجوا صاحب التمشيش أي عابوا على استخراج المخ من العظم وحين أكلوا بالبارحين أي شيء كالشوكة وقطعوا بالسكين ولزموا عند الطعام الصمت وتركوا الخوض"[1]، ونلاحظ من هذا القول إن الفرس لهم عادات راقية في الطعام فهم لا يقومون بالحسو من الأواني كالبدو، ويجتنبون النهش والتمشيش، كما أنهم يأكلون باستخدام الشوكة والسكين مع التزام الصمت أثناء مضغهم وبلعهم لطعامهم.

ولقد تحدث الجاحظ عن ظاهرة البخل في كتابه ورسم تصورات مطابقة للواقع من خلال نقله "لصورة مجتمع بدأ يعيش قيم جديدة ويرفض قيم البداوة التي ترى في صفة الكرم ضرورة حياتية في الصحراء، في حين بات الاقتصاد جزءا حيويا من حياة مدنية أكثر تعقيدا... فجسد لنا الجاحظ اضطراب القيم في ذلك العصر أي بين بداوة ارتحلت تفاصيلها لكنها بقيت راسخة القيم في المدن الحديثة"[2]، يبين لنا بقوله هذا أن الفارسي المتمدن لابد له من التخلي عن الكرم الذي تحلى به أهل البداوة وبالمقابل يتم استبداله بالبخل، وذلك راجع إلى طبيعة الظروف المعيشية في بلاد الفرس فهي لا تسمح بالعطاء ولا بتقديم الإكراميات، بل تقتصر على الاقتصاد والشح.

كما تحدث الجاحظ في كتابه عن "الحركة الشعوبية التي تعتبر حركة تعتز بالتراث

1 – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب نوادر البخلاء واحتجاج الأشخاء، تحقيق عمر الطباع، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، السعودية، ص 86.

2 – ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، 2010، ص 35.

الساساني، وترفع شعار أفضلية الأمم الأخرى على العرب"[1]، إذ يصور الآخر بشكل فيه الكثير من الموضوعية وبعيدا عن التحيز فهو لم يحمل أي تشويه للفرس.

"فالمرء يتصور حين يرى الجاحظ مدافعا عن العرب ومهاجما الحركة الشعوبية أن صورة الفرس في أدبه ستكون صورة مشوهة، يخصها بدلالات سلبية، في حين يخص العرب بدلالات إيجابية لكن الجاحظ شأنه شأن كل أديب عظيم أبعد ما يكون عن التعصب والعنصرية"[2]، من خلال هذا القول يتبين أن أدب الجاحظ بعيد كل البعد عن الصور التي تحمل العنصرية والشعوبية، فلم يميز بين العربي ونظيره الآخر الفارسي بل رأى بضرورة انفتاح العرب على ثقافة الشعوب والأمم الأخرى.

أما في كتاب "ألف ليلة وليلة" فقد ساهمت قصصها ولياليها في تصوير الآخر، ولقد كانت بلاد الهند من إحدى المحطات التي وصل إليها الرحالة المسلمون والتجار الذين عاشوا في كنف الحضارة الهندية، فالرحالة العرب جسدوا لنا صورا عن مخالطتهم ففي الليلة 541 نكتشف أجناسهم المختلفة "منهم الشاكرية، وهم أشرف أجناسهم لا يظلمون أحدا ولا يقهرونه ومنهم جماعة البراهمة، وهم قوم لا يشربون الخمر أبدا وإنما أصحاب حظ... ولهو وطرب وجمال ومواش"[3]، نجد المؤلف يعرض لنا تصوراته عن الهنود فهم يتسمون بالعدل في اتخاذ أحكامهم وقراراتهم ولا يحتسون الخمر بل يفضلون اللهو والطرب وبهذا نلاحظ تقارب الملامح مع المسلمين فهم يحملون صورة إيجابية تعبر عن حياتهم اليومية.

كما نجد في هذا الكتاب صورة عن عظماء الفرس الذين تحلوا بالقيم العليا، "ففي الليلة 63 نجد ملك فارس (سابور) يعجب بالفارس العربي الغريب بعد أن أنقذ ابنته (فخر

---

1 – ناريمان زوزو: صورة الآخر في مسرحية هيستيريا الدم لعز الدين جلاوجي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة ورقلة، الجزائر، 2016–2017، ص 17.

* الساساني: نسبة إلى الإمبراطورية الساسانية في بلاد فارس بين عامي 224 و651 بعد الميلاد.

2 – ماجدة حمود: المرجع السابق، ص 39.

3 – ألف ليلة وليلة، (دم)، دار صادر، بيروت، ط2، 2008، ص 6.

تاج) التي خطفها غول الجبل، ويعذر ابنته التي رفضت خطبة الفارسي (ملك شيراز) من أجله وأحبت هذا البدوي"[1]، نلمس في هذه الصورة انفتاح الفارسي على نظيره العربي عن طريق رابطة الزواج فعندما مد الرجل العربي يد العون للفتاة وأنقذها عرض عليه الملك أن يزوجه ابنته جراء مساعدته ليعبر عن رده للجميل فموقفه هذا كشف عن صورة نبيلة عن الآخر الفارسي.

عندما نفي أمير الشعراء أحمد شوقي إلى بلاد الأندلس رسم صورة عن حضارة الآخر وعمرانه وجمال طبيعته وأثناء إقامته هناك قدم نصوصا عن ما رآه في تلك البلاد ومن بين الشواهد والتمثلات التي نقلها نجد ديوانه المعروف باسم "الشوقيات" والذي ضمن فيه عدة نصوص من بينها نص الرحلة إلى الأندلس إذ يقول فيه أحمد شوقي "لما وضعت الحرب الشؤمى أوزارها وفضحها الله بين خلقه وهتك إزاراها ورمّ لها ربوع السلم وجدد مزارها أصبحتُ وإذا العوادي مُقصرة والدواعي مُقصِّرة، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب والنفس بحق زيارته أطلب، فقصدته من برشلونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار المُجد، والبخار المشتد، أو بالسفن الكبرى الخارجة إلى المحيط، الطاوية القديم نحو الجديد من هذا البسيط، بلغت النفس بمرآه الأرب، واكتحلت العين في ثراه بآثار العرب، وإنها لشتى المواقع، متفرقة المطالع، في ذلك الفلك الجامع، يسري زائرها من حرم، كمن يمسي بالكرنك ويصبح بالهرم، فلا تقارب غير العتق والكرم، (طُلَيْطِلة) تطل على جسرها البالي، و(أشبيلية) تشبل على قصرها الخالي، و(قرطبة) منتبذة ناحية بالبيعة الغراء، و(غرناطة) بعيدة مزار الحمراء"[2].

ولقد ألف نصه هذا بعد نفيه بسبب الحرب السياسية في بلده مصر، إذ جعل منفاه الأندلس وطنا له "فبعد إقامته قد تجول فيه عبر عدة مدن، حيث ابتدأ ببرشلونة إذ يقول: "من برشلونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار"، ومعنى هذا ما يرتكز عليه الدارس المقارن

1 – المرجع نفسه، ص 129.

2 – عامر مشيش: شوقي في منفاه، المكتبة الشاملة الحديثة، بتاريخ 18-04-2008، موقع: https://al-maktaba.org

وخاصة مجال الصورائية التي تستدعي ملف الشواهد، إذ أن الأديب حقا ارتحل وتجول في ذلك البلد والأهم عبر تجواله صور لنا أن بلد الأندلس العتق والكرم، كما تحدث عن مدينة طليطلة، إذ يقول عنها أنها تقع أو تطل على الجسر، وكذا قرطبة التي يوجد بها معبد اليهود والنصارى المعروف بالبيعة"[1]، ولقد تجول شوقي أيضا في مزار قصر الحمراء الذي يقع بمدينة غرناطة، ويعد صرحا إسلاميا يروي عدة قصص عن الحضارة الإسلامية ويعتبر أيضا من أهم الوجهات السياحية ببلاد الأندلس.

كما يعد سميح القاسم من الأدباء الذين عبروا عن طغيان وهمجية وتسلط الآخر اليهودي على الأراضي الفلسطينية، ولقد نظم في هذا الشأن عدة قصائد تصور اليهود منها قصيدة "الذي قتل في المنفى كتب إلي" إذ يقول فيها:

ذات يوم فاجأوني

دفعوا أمي وأختي جانبا

واعتقلوني

ومع العتمة في بعض السجون

ضفروا لي الشوك

وعلى الأوحال والأسلاك

جروني طوال الليل

فركوا بالرمل والملح جراحي

وإلى ركن ركيزة ركلوني...

قتلوني ذات يوم

يا أحبائي ... لكن

1 – بن سايح هجيرة: صورة الحضارة الأندلسية في الأدب العربي الحديث، إسبانيا عند أحمد شوقي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، جامعة مستغانم، الجزائر، 2016–2017، ص 49.

ظل مرفوعا إلى الغرب... جبيني[1].

صور لنا في هذه الأبيات صورة السجان اليهودي بصفته الآخر العدو الذي اقتحم بيت الإنسان الفلسطيني فجأة ليعتقله ظلما وعدوانا بكل وحشية، ثم يزج به داخل أسوار السجن أين يمارس عليه شتى أنواع التعذيب والعنف، لينتهي به المطاف مقتولا في منفاه من قبل جند الآخر اليهودي.

وفي صورة أخرى تكلم المؤلف سعد قاسم الأسدي في روايته "نيران" عن صورة العدو الأمريكي أثناء غزوه للعراق، حيث نقلت هذه الرواية معالم الآخر في شكل سلبي بوصفه عدوا ومدمرا لكل ما يجده أمامه، فقد تسبب في تدمير المباني من معاهد وكليات ومدارس ومكتبات، كما خرب المنشآت الحيوية في العراق، وقام بممارسات دكتاتورية على العراقيين.

وفي إحدى مقاطع هذه الرواية نجد المؤلف يصور لنا همجية ووحشية العدو الأمريكي ضد شخصية الأستاذ عبد الملك إذ يقول عنه: "السيد عبد الملك قد تعرض إلى إطلاق نار بشكل غير مبرر من جانب القوات الأمريكية قبل ستة أيام... كان راجعا إلى بيته عندما كانت القوات الأمريكية تغلق منطقته، وتداهم البيوت بحثا عن الأسلحة أو المطلوبين، وما أن دلف إلى الزقاق حيث مسكنه حتى فوجئ بالجنود الأمريكان وهم يطلقون النار عليه فورا[2]، يتضح من هذا القول أن الآخر الأمريكي يتهجم على الأشخاص بكل عنف وشراسة ويقوم بإطلاق النيران عليهم، كما يقوم بمداهمة البيوت ليرتكب أبشع الجرائم في حق المواطن العراقي بحجة البحث عن الأسلحة أو الأشخاص المشتبه في أمرهم، ولقد برز هذا الآخر الأمريكي البغيض ليعلن الحرب والشر، وليمارس سياسة التخويف والاضطهاد ضد المواطنين سعيا منه لإزهاق أرواحهم.

قدم ألبير كامو (Albert Camus) صورة عن الجزائر إذ جعل من هذا البلد مسرحا لروايته "الطاعون"، نقل من خلال هذا العمل الأدبي ملامح الحياة في مدينة وهران خلال

1 – سميح القاسم: شعر الأعمال الكاملة، دار الجيل، ط1، بيروت، 1996، ص 267–269.

2 – سعد قاسم الأسدي: رواية نيران، مكتبة عدنان، ط1، العراق، 2014، ص 146.

فترة الأربعينيات من القرن الماضي، رسم الأجواء التي خيمت عليها عندما حل بها وباء الطاعون، والذي يعد مرضا من الأمراض الفتاكة فهو ينشر الأحزان والبؤس والآلام في كل بقعة يسود فيها فهو يسبب "آلام المرض وآلام الفراق بموت الأحبة والأهل وآلام العجز وآلام اليأس"(1).

تتجلى معالم هذا الداء في تغير أرجاء هذه المدينة "فكيف السبيل مثلا إلى تصور مدينة بغير حمام ولا أشجار ولا حدائق حيث لا خفقات أجنحة ولا حفيف أوراق فكيف السبيل إلى تصور مكان محايد بكلمة واحدة؟ إن السماء وحدها هي التي تتبئ بتغير الفصول... تخترق الشمس والبيوت المفرطة الجفاف، وتحظى الجدران برماد أشهب، فلا يمكن العيش إذ ذاك في ظل المصاريع المغلقة، وأما الخريف فهناك على النقيض، فيض من الوحل، وإنما تحل الأيام الجميلة في الشتاء فحسب"(2)، يتبين من هذا القول أن الطاعون حول مدينة وهران إلى لوحة سوداوية خالية من الروح توحي إلى الموت في كل لحظة، فقد اختفت الطيور وأصبحت الحدائق كالمقابر لا يسمع فيها أي صوت، ليأتي بعدها فصل الخريف وتتغطى الأرض بالوحل، ثم يليه فصل الشتاء وهو يحمل معه أياما سعيدة تغطي قبح هذا المرض القاتل، الذي جعل ألبير كامو يرسم لنا المشاهد البائسة داخل هذه المدينة الجزائرية التي عانت من غزو الفئران والحشرات التي تسببت في "داء الطاعون".

شارل هنري تشرشل (Charles Henry Churchill) في كتابه "حياة الأمير عبد القادر"، رسم صورة عن هذا الشخص العربي الغني عن التعريف، حيث أبدى انبهاره وإعجابه الشديد ببسالته أثناء المقاومة التي قاوم فيها المستعمر الفرنسي، فقد عرف بحنكته أثناء المعارك والحروب كما أنه وقف سدا منيعا أمام الجنرالات الفرنسية التي هاجمت الجزائر، ولقد دافع عن وطنه وحفز أبناء جلدته للنضال والكفاح وبعث فيهم العزيمة الوطنية

---

1 – Maurice Nadeau : Le roman français depuis la guerre, Editions Gallimard, Coll. Idées, NRE, Paris, 1970, p. 111.

2 – ألبير كامو: الطاعون، ترجمة سهيل إدريس، دار الآداب، ط1، بيروت، 1981، ص 5.

والروح القومية.

وتتجلى صورته لدى تشرشل على أنه رجل ذو شهامة فهو واحد من أعظم الرجال الذين خلدهم التاريخ على مر العصور، ويظهر هذا في قوله: "لم يدخل دمشق عربي على هذا النحو منذ صلاح الدين الأيوبي"[1]، فقد أشار إلى هيبته ومكانته الشريفة ورفعته التي ولج بها إلى بلاد الشام عندما نفاه الاستعمار ظلما وعدوانا، وفي موضع آخر يقول عنه على لسان إمبراطور فرنسا "أرأيت إن صوتك قد جلب لي الحظ السعيد، فرد عليه الأمير عبد القادر: أيها السيد إن صوتي لا قيمة له في حد ذاته ولكنه ترجمان قلبي"[2]، دل قوله هذا على تواضع الأمير مع غيره ولباقته أثناء حديثه، فرغم مكانته العالية ونفوذه إلا أنه كان في قمة النبل والتواضع والبساطة.

كما أشاد تشرشل بهذا العربي الشهم في مقطع آخر بقوله "وقد كان الشعور بالأمان سائدا شاملا إلى درجة أن استعمال التعبير العربي بخصوص الحكومة الحقيقية الفاضلة يصلح في هذا المقام ومعناه يمكن لفتاة أن تتنقل في طول البلاد وعرضها حاملة سلة من الجواهر على رأسها دون خوف من الإزعاج"[3]، كلامه دليل على قوه الأمير عبد القادر وأن بلاده تخلو من هجمات الأعداء، فقد جعل شغله الشاغل تحقيق الأمن والاستقرار، ونشر السلام داخل حكومته لكي يتسنى لشعبه حق التجول بكل أريحية وحرية. ويتضح مما سبق أن هنري تشرشل أبدع في نقل صورة فنية مزخرفة عن الأمير عبد القادر من خلال كتابه فقد مجد بطولاته وافتخر بزعامته وبأخلاقه النبيلة.

الأديب الروسي ليو تولستوي (Léon Tolstoï) من الذين تأثروا بصورة الآخر العربي، إذ تأثر وانبهر بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقد أعجب به وبشخصيته،

---

1 – شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 2004، ص 344.

2 – نفسه،

3 – المرجع نفسه، ص 122.

مما جعله يرسم صورا ناصعة عنه نتيجة لذهوله بعظمة النبي وأخلاقه وصفاته، وهذا ما نلمحه في كتابه "حكم النبي" رسم فيه صورة عن حياة محمد وآدابه ومعاملته وأحاديثه التي اقتبسها من السنة النبوية.

ولقد قال تولستوي في كتابه عن النبي مادحا إياه "ومما لا ريب فيه أن النبي محمد كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ويكفي محمد فخرا أنه هدى أمة بكاملها إلى نور الحق ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق الرقي والمدَنِية وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أُوتِي وحيا وقوة من عند الله ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإجلال"[1]، ويواصل الحديث عنه بقوله "هو مؤسس دين ونبي الإسلام الذي يدين به أكثر مائتي مليون إنسان (الكلام عام 1912) قام بعمل عظيم بهدايته وثنيين قضوا حياتهم في الحروب وسفك الدماء فأنار أبصارهم بنور الإيمان وأعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله"[2].

وأيضا يقول عن النبي في موضع آخر "أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه وقلبه وعقله ليكون هو أيضا آخر الأنبياء حيث لم يأت ولن يأتي بعده جديد، اعترف محمد بالأنبياء الذين سبقوه بتكليف من الإله الواحد ليقدموا البناء الاجتماعي العالمي الذي جاء يستكمله دليل لا يقبل الشك، فقد جاء محمد ليستكمل بالإسلام البناء الاجتماعي للإنسان في كل مكان"[3]، إعجاب تولستوي بالنبي محمد دفعه لتقديم صورة إيجابية وحسنة عن حياته وصفاته التي تحلى بها، ويعد من المهتمين بذات الرسول (صلى الله عليه وسلم) مما دل على تقديره ومحبته واحترامه للآخر العربي وللدين الإسلامي وهذا الأمر كان حافزا لتأليف كتابه "حكم النبي" والذي دافع فيه عن

1 – تولستوي: حكم النبي محمد، ترجمة سليم قبعين، الدار المصرية، ط2، مصر 1915، ص 14.

2 – المرجع نفسه، ص 13.

3 – مكارم الغمري: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة، ط1، الكويت، 1970، ص 170.

صورة هذا النبي العربي أمام الأقوام الأوروبية ولقد نجح في تصويره بشكل يليق بمقامه ورفعته ومكانته.

وفي قصيدة "كاسحو الألغام السوفيتية في الجزائر" لشاعر أوكراني مجهول يصور فيها معركة الألغام التي زرعت في أرض الجزائر في قوله:

سار الجندي السوفييتي عبر أراضي الجزائر...

وصل رسول الدولة العظمى

إلى خط النار البعيد الشاق

من أجل ألا يعلو الصدأ سكة المحراث

وكي تعود الحياة للأرض الميتة...

خَلص فتية خملينسيك وسيبيريا

الحقول من مصائب المستقبل

لتنظر سماء الجزائر في أثرهم

بذور أقوى

وامتنان أكثر...

ترتفع رؤوس السنابل شامخة باتجاه الشمس.

في الأرض المزروعة بالألغام،

وفي الأبعاد المضيئة

غنوا المجد، عساكر التاريخ.. عساكرنا الأطباء

معالجو جروح الأرض الخطيرة(1).

يتضح من هذا المقطع الشعري التمثلات التي لازمت أرض الجزائر إبان الاحتلال، فقد كانت أرضها مليئة بالألغام القاتلة المدفونة التي قام الجنود السوفيات باستخراجها من

1 – علي حافظ: أشعار روسية عن الثورة الجزائرية والجزائر، الرمل والثلج، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 11.

الأودية والصحاري بفضل بسالتهم، فقد خلصوا الجزائر من الألغام بفضل جهود هؤلاء العساكر.

3 - وسائط تلقي صورة الآخر:

إن الاختلاف الثقافي والحضاري بين الشعوب والأمم أدى إلى ظهور ما يعرف بالآخر وهو المقابل والنقيض للأنا، وهما طرفان ينتمي كل منهما إلى ثقافة مختلفة، وقد حاول الأنا رسم صورة للآخر لإبراز التنوع العقائدي والثقافي والاجتماعي والتاريخي بين الذات ونظيرها.

وقد ساعدته في ذلك جملة من الوسائل والوسائط التي فتحت له المجال لمعرفة عادات وتقاليد وإيديولوجيات الآخر، مما جعله محط أنظار الأنا الذي يسعى إلى تصويره من أجل رصد مواطن الاختلاف التي ميزته عنه، ومن أبرز الوسائط التي ساهمت في رسم صورة الآخر نجد أدب الرحلات الذي وصل إلينا عن طريق الرحالة الذين قاموا بتدوين مغامراتهم وأسفارهم الشيقة، وكذا الاستشراق ودراساته من قبل علماء العالم الغربي الذين سعوا لدراسة علوم الشرق وآدابه، وأيضا علم الترجمة الذي نقل إلينا الأعمال الأدبية والأعمال العلمية مترجمة.

أ - أدب الرحلات:

ساهمت الرحلة في بناء جنس أدبي قائم على السفر والترحال عبر بقاع وأصقاع العالم أطلق عليه "أدب الرحلة وهو أدب يقوم على السرد القصصي يضمنه الكاتب الرحالة مشاهداته وانطباعاته في البلاد التي يزورها، وهي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية أو نبذة عن التاريخ أو عادات الناس، وتقاليدهم وأنماط عيشهم وتفكيرهم، وهذه الأمور تكون في بعض الأحيان مرجعا وثائقيا هاما وموضوعا للدراسات المقارنة في مختلف المجلات الفكرية والأدبية والحياتية، ومن شروط أدب الرحلات دقة الملاحظة، وتحري الحقيقة، وسهولة

الرواية، وحسن التصرف"[1]، وهي من السمات التي يجب أن يتحلى بها الرحالة.

ويمكن القول "هو مجموعة الآثار الأدبية، تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته"[2]، أي هو أدب يصور وينقل المشاهد التي يراها الرحالة أثناء سفره من بلد إلى آخر.

هذا الأدب يعتمد على نقل صورة الآخر بشكل موضوعي ليصور لنا الرحالة من خلاله أحداث رحلته في شكل قصص وحكايات يسردها عن الآخر، كما يصف فيه الأماكن التي زارها ليستقي الحقائق والمعلومات والمشاهد الحية، ويصور أيضا العادات والتقاليد ومعتقدات البلدان التي زارها ،فن الرحلة قائم على تدوين كل ما يشاهده الرحالة من بداية رحلته إلى نهايتها بشكل دقيق ومطابق لمعايير الواقع دون زيادة أو نقصان.

يعرفه سعيد علوش على أنه "أدب يدخل في درس الصورولوجيا، أي دراسة صورة شعب عند شعب آخر... يتبع أدب الرحلات عادات، تقاليد، تأثيرات إقليمية"[3]، يتضح من هذا القول إنه يدرس صورة أمة لدى أمة أخرى من الجانب الثقافي والديني والاجتماعي، كما يعرض عادات وتقاليد البلاد التي زارها الرحالة، كما ينقل آراء الآخر وطريقة عيشه. لقد كان للشرق حظ وفير من أدب الرحلات حيث "شغلت الرحلة مكانة مهمة في الثقافة العربية فاهتم بها العرب منذ القدم وأكثروا من التأليف فيها"[4]، ومن بين أشهر الرحلات العربية رحلة ابن بطوطة الذي وصف فيها البلاد الأخرى والشخصيات التي صادفها في رحلاته إذ صور

1 – فواز الشعار: الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إيميل يعقوب، دار الجيل، ط1، بيروت، 1999، ص 197.

2 – مجدي وهبي وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984، ص 113.

3 – سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب، ط1، لبنان، 1985، ص 98.

4 – علي إبراهيم الكردي: أدب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، سوريا، 2013، ص 5.

الملوك والسلاطين.

ومن بين أشهر الأماكن التي زارها مدينة سُرْدَقْ ببلاد القسطنطينية سرد لنا ما شاهده عنها بقوله "وهي من المدن على ساحل البحر ومرساها من أعظم المراسي وأحسنها، وبخارجها البساتين والمياه... وأكثر بيوتها خشب، وكانت هذه المدينة كبيرة... وكانت الضيافة تحمل إلى الخاتون في كل منزل من تلك البلاد من الخيل والغنم والبقر"[(1)]. يصور لنا ابن بطوطة البلاد الأخرى والمناظر الطبيعية التي شاهدها، وأيضا يرسم ملامح الأماكن التي زارها، كما يذكر عادات وتقاليد الأمم وتفاصيل عيشهم، وقد اعتبرت رحلته التي قام بها في القرن الثامن من الهجرة من أدب الرحلات السفارية، دامت تسعة وعشرون سنة ظل يرتحل من بقعة إلى أخرى ليصور معالم الآخر.

لقد برزت العديد من الرحلات في القرن التاسع عشر عند العرب خاصة التي كانت وجهتها إلى أوروبا وبالتحديد باريس عاصمة فرنسا فقد "أقام رفاعة الطهطاوي في باريس منذ 1826 حتى عام 1831 وسجل مشاهدته في "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، كما أقام أحمد فارس الشدياق مدة سنتين سجلها في كتابه "الساق على الساق فيما هو الفرياق"، أما فرانسيس المراش فقد سافر إلى باريس عام 1866... وفي هذه المرحلة كتب "رحلة باريس"... وكتب محمد كرد علي كتابه "غرائب الغرب"، إثر رحلته إلى هناك سنة 1910"[(2)]، رسم هؤلاء الرحالة الشرقيون صورة لباريس من خلال مؤلفاتهم عن الرحلات التي قاموا بها إلى هذه المدينة.

ومع قيام الثورة الصناعية في أوروبا زار الرحالة العرب العالم الغربي، ولقد أبدوا إعجابهم بالمجتمع الأوروبي المتمدن، ورأوا بضرورة تصوير ملامح التحضر والتقدم العلمي والعقلانية التي وصل إليها الغرب، حيث قام أدباء الترحال الشرقيون برسم صورة عن الآخر،

---

1 – الشيخ عبد المنعم العريان: رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، ط1، لبنان، 1987، ص 350-351.

2 – يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، جامعة القدس المفتوحة، ط1، الأردن، 1996، ص 21.

ويعد الطهطاوي من الرحالة الذين صوروا الآخر الأوروبي من خلال قيامه برسم صورة أدبية عن باريس في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" خلال رحلته العلمية التي قادها "بصفته إماما ومرشدا إلى فرنسا للوقوف على أسباب التقدم الغربي والإفادة من منجزاته الحضارية"[1]، حيث نجده يرسم لنا "تفاصيل دقيقة عن الحياة الفرنسية بشكل خاص والأوروبية بشكل عام، فتحدث عن النظم السياسية من خلال قوالبها المعهودة في فهم الدستور الفرنسي والاطلاع على أركان المجتمع من عادات وتقاليد، وفنون، بالإضافة إلى حديث مطول عن المرأة الأوروبية"[2].

كما نجد رحلة حسين فوزي إلى الغرب التي أبدى من خلالها ذهوله بحضارة أوروبا، وكانت محصلة رحلته كتاب سندباد إلى الغرب إذ يقول فيه: "الثورة الفرنسية وإمبراطورية نابليون، والجمهورية الثالثة، والرابعة، عظيمة في حبها للعلم والتعليم، لا أعرف في تاريخ العالم ثورة كانت ثورة العلم والمعرفة، ومنشآتها كانت جلها للعلم والتعليم، مثل الثورة الفرنسية ولم يكن نابليون في صميمه إلا أبا لتلك الثورة"[3]، من خلال رحلته يتبين لنا اهتمام الآخر بالعلم والمعرفة رغم الثورات والحروب.

وخلاصة القول إن أدب الرحلات من الأجناس الأدبية السردية التي يصف فيها الرحالة ما شاهده من عادات وتقاليد ومعتقدات البلدان التي زارها، حيث يدوّن الرحالة في هذا النوع من الأدب ما يلفت انتباهه من بداية الرحلة إلى نهايتها، ويبقى هذا النوع من الأدب من أهم الوسائط التي ساهمت في تشكيل صورة الآخر وعرفتنا على تجليات الأمم الأخرى، كما يعد أدب الرحلة من الفنون الأدبية الواقعية والصادقة التي تصور حياة الشعوب

---

1 – المثنى مد الله سليمان العساسفة: اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب: دراسة مقارنة في مختارات من الرواية العربية والهندية، دار جليس الزمان، الأردن، 2009، ص 14.

2 – رافع رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 14.

3 – حسين فوزي: سندباد إلى الغرب، دار المعارف، ط3، مصر، 1983، ص 176.

وتنقل لنا معلومات وخصوصيات الآخر.

ب – الاستشراق:

إن الاستشراق في مفهومه العام هو "علم الشرق أو علم العالم الشرقي... والمعنى الخاص لمفهوم الاستشراق يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته، وآدابه، تاريخه، وعقائده وحضارته بوجه عام"[1].

حظي الشرق الإسلامي بالعديد من الدراسات الاستشراقية التي قام بها الغربيون الذين تبحروا في "دراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة"[2]، فقد تمكنوا بفضل الاستشراق من اكتشاف ثقافة وحضارة الشرق الإسلامي، كما سعوا منذ بداية استشراقهم إلى دراسة تعاليم الدين الإسلامي وحياة المسلمين وآدابهم ولغاتهم ومعتقداتهم.

فالاستشراق حركة فكرية اطلع من خلالها المستشرقون على علوم العرب وشريعتهم وعلى اثر ذلك قاموا بإضافة أقسام جامعية في أوروبا، أطلق عليها لفظ الدراسات الإسلامية أو دراسات الشرق الأوسط، التي اهتمت بأحوال الأمة الإسلامية والغوص في تعاليمها وعاداتها وتقاليدها وثقافتها.

ومن خلال الدراسات الاستشراقية "أسهم أولئك المستشرقون في كتابة دراسات عن التراث العربي الإسلامي، فأخرجوا عشرات المخطوطات، واهتموا بالبرديات العربية، ودرسوا ظهور الإسلام وانتشاره، وفلسفته وترجموا القرآن الكريم، واهتموا بقراءته واهتموا بالحديث النبوي، ودرسوا شخصية الرسول (عليه الصلاة والسلام)، كما قدموا دراسات تاريخية عن بلاد العرب منذ الجاهلية"[3].

---

1 – عبد الرحمن حنبكة: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير الاستشراق والاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، ط8، سوريا، 2008، ص 53.

2 – وزان عدنان محمد: الاستشراق والمستشرقون، رابطة العالم الإسلامي، السعودية، 1974، ص 15.

3 – يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، جامعة القدس المفتوحة، ص 21.

"إن حركة الاستشراق قديمة جدا، إذ أن قيامها يعود إلى سنة (1245م) حين تقرر تدريس اللغات الشرقية، من طرف مجمع الكنيسة بفيينا، وهذا يعني أنها وصلت إلى رقيها، بل كان دورها الفعلي في أواخر القرن 19 على إثر الاستعمار الذي حل بالبلاد العربية والإسلامية عامة، وبذلك فتح العديد من المؤسسات والمراكز والمعاهد لدراسة اللغات والثقافات والعادات الشرقية، بأصنافها المختلفة، ليتمخض عنها انعقاد أول مؤتمر استشراقي بباريس عام 1873"[1]، يمكن القول بأنها حركة قديمة من قبل المسيحيين الذين درسوا الأدب العربي بغية فهم لغة القرآن الكريم ولتتبع تعاليمه، لكن البداية الفعلية للاستشراق كانت نهاية القرن التاسع عشر، على يد الغرب الأوروبي الذي فتح المعاهد والجامعات من أجل تشويه صورة الدين الإسلامي لدى العالم الغربي، وليشكك في الأمور التي جاء بها الإسلام لكنه رغم هذا لم ينجح، فالاستشراق رغم محاولاته الفاشلة لطمس معالم الإسلام لم ينجح أمام الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وإنجازات المسلمين وحضارتهم الخالدة عبر العصور.

يعد إدوارد سعيد من الدارسين الذين اهتموا بهذا العلم في كتابه "الهام الاستشراق"، ولقد عرفه بقوله "الاستشراق وأعني به التفاهم مع الشرق بأسلوب قائم على المكانة الخاصة التي يشغلها هذا الشرق في الخبرة الأوروبية الغربية، فليس الشرق وحسب مجاورا لأوروبا، بل إنه أيضا موقع أعظم وأغنى وأقدم المستعمرات الأوروبية وهو مصدر حضارتها ولغاتها ومنافسها الثقافي، وهو يمثل صورة من أعمق صور الآخر وأكثرها تواتر لدى الأوروبيين، أضف إلى ذلك أن الشرق قد ساعد في تحديد صورة أوروبا أو الغرب، باعتباره الصورة المضادة والفكرة الشخصية والخبرة المضادة... فالشرق جزأ لا يتجزأ من الحضارة المادية والثقافة الأوروبية، والاستشراق يعبر عن هذا الجانب ويمثله ثقافيا، بل وفكريا باعتبار الاستشراق أسلوبا للتفكير والكلام تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية ومذاهب

1 – إبراهيم مناد: نبذة عن سيرة الاستشراق، مجلة حوليات التراث، العدد3، مستغانم، الجزائر، 2005، ص 73.

فكرية"[1].

ومن بين أهم المؤلفات الاستشراقية كتاب "محمد النبي" الذي ألفه الكاتب الفرنسي فولتير (Voltaire) صور فيه النبي محمد (صلّ الله عليه وسلم) بشكل لا يليق بعظمته ورفعته، واصفا إياه بالوحشي والطاغية والشهواني.

كما نجد كتاب "أزمة الإسلام" للمستشرق البريطاني برنارد لويس (Bernard Lewis) الذي أساء من خلاله إلى الإسلام حيث اعتبره دينا رجعيا ومتخلفا واتهمه بالإرهاب في قوله "إن الإرهاب الإسلامي يمكن تفسيره بأنه موقف عصبي غير سوي إزاء حداثة مستحيلة تتطلب لتحقيقها الانسلاخ والانفصال عن المرجعية الإسلامية ومعضلة الإسلام التي تحول بينه وبين الدخول في الحداثة هي الامتزاج الجوهري بين الدين والسلطة فيه"[2].

أما المستشرق الفرنسي دو كوندورسي (De Condorcet) فقد قال عن الإسلام "بالنظر للحرية بالنظر إلى كل الأنظمة السياسية والدينية التي برزخ تحتها الجنس البشري، فإن النظام الإسلامي هو أكثر هذه النظم التي لا تترك مجالا للحرية"[3]، يتبين من قوله أنه يرى الإسلام على أنه دين يقيد البشر ويمنعهم من حرياتهم.

وهناك العديد من كتب الاستشراق من بينها كتاب "ميزان الحق" للمستشرق كارل فاندر (Karl Pfander) وكتاب آخر بعنوان "مقالة في الإسلام" للمستشرق جورج سال (George Sale)، وأيضا كتاب "مصادر الإسلام" لويليام سان كلير تيسدال (W. St. Clair Tisdall)، ويتضح من خلال هذه المؤلفات النظرة السلبية للمستشرقين تجاه الشرق، فقد تهجموا على دين الله ونبيه محمد (صل الله عليه وسلم)، إذ تسعى الدراسات الاستشراقية

---

1 – إدوارد سعيد: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد العنابي، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2006، ص 43-44.

2 – Bernard Lewis : L'islam en Crise, Ed. Gallimard, Paris, 2003, p. 35.

3 – الصادق رابح: في مصادر الرؤية الإعلامية الفرنسية للإسلام، مجلة الصورة والاتصال، ع1-2، جامعة وهران، الجزائر 2012، ص 124.

لتشويه صورة الشرق بشتى الطرق من طرف الغربيين، فأغلب أعمالهم حملت توجهات خطيرة ضد الإسلام والمسلمين لابد من الرد عليها لتصحيح أفكار المجتمع الغربي عن الشرق.

وخلاصة القول إن الاستشراق علم من العلوم التي تبحرت في ثقافة الحضارة الإسلامية وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، وكل ما يخص المجتمع الشرقي، كما اهتم بالديانة الإسلامية ونشأتها، حيث كان الشغل الشاغل لحركة الاستشراق هو ترجمة القرآن الكريم بغية الاطلاع عليه لفهم أحكامه وما جاء فيه، وأيضا الاهتمام بأحاديث النبي محمد (صل الله عليه وسلم)، ودراسة شخصيته وخصاله التي تميز بها، كما درس من خلاله المستشرقين العصور التاريخية التي مر بها الشرق. ويبقى الاستشراق وسيلة من وسائل تلقي صورة الآخر، فمن خلال الدراسات الاستشراقية انعكست صورة المشارقة والمسلمين لدى الآخر الأوروبي.

ج – الترجمة:

تعد الترجمة وسيلة من وسائل نقل صورة الآخر، وهي عبارة عن "نقل نص من نظام لغوي إلى نظام لغوي آخر، أما اللغة التي ينقل عنها فتسمى اللغة المصدر، وأما اللغة التي ينقل النص إليها فتسمى اللغة الهدف، كما تسمى الترجمة من باب آخر هجرة النص لأن النص عندما ينقل من نظام لغوي إلى نظام لغوي جديد يعيش في إطارين قوميين مختلفين، فهو يشبه من يهاجر من بلد إلى آخر ولا شك أن هذه الهجرة تنطوي على أبعاد فكرية وأسلوبية وجمالية"[(1)]، من خلال هذا القول يتضح لنا أن الترجمة نقل النص من لغة إلى لغة أخرى، أي من لغة الانطلاق وهي اللغة الأصل إلى لغة الوصول، وهي اللغة المراد الترجمة منها والتي ينبغي أن تحمل نفس أفكار ومعاني النص الأصلي.

عرفها دانيال باجو بقوله "هي أن تنقل نصا من ثقافة إلى أخرى، ومن منظومة أدبية

---

1 – طه ندا: الأدب المقارن، دار النهضة العربية، لبنان، 1991، ص 32.

معينة إلى أخرى... إنها إدخال نص في سياق آخر"[1]، فهي عملية تهاجر فيها النصوص من بلد إلى آخر، حيث تسافر أفكار الذات إلى الآخر في شكل يتسم بالجمالية وبالأسلوب الراقي الذي يتوافق مع ترجمة النص.

تعتبر الترجمة من إحدى مواضيع الدراسات المقارنة، فقد ساهمت في رسم صورة وثقافة وفكر الذات لدى الآخر المقابل لها، فهي وسيط هام يساهم في التفاعل والتحاور والتبادل الثقافي بين شعوب العالم، وهي جسر يفسح المجال للتعرف على آداب الأمم الأخرى.

ولقد وضع الجاحظ قواعد للترجمة تجلت في قوله "لابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيه سواء"[2]، وهذا يعني أن يترجم النص حرفيا كما وجده من دون إجراء أي تعديل عليه، فلا يغير المعنى في النص المطلوب ترجمته أي يبقي على نفس العبارات والمعاني وأسلوب النص الأصلي الأول، وهذا ما يدعى بالأمانة في الترجمة كما يجيب أن يكون متعمقا في لغته الأم، وأيضا لابد له من إتقان اللغة التي سيترجم نصه إليها، لتكون بهذا ترجمته صحيحة وسليمة، وخالية كذلك من الأخطاء اللغوية.

وتعتبر وسيطا مهما وضح لنا صورة الآخر وعكس لنا حضارته، ولقد شكلت "الترجمة الأدبية بعد تواصليا ومعرفيا له أهمية عظمى في تقارب الأمم والشعوب... إذ نحسب أن الترجمة مظهرا حضاريا جعل النصوص المترجمة معابر من أجل التقاء الأمم والاطلاع على خاصية التفكير وطرق فهم الحياة"[3]، فالترجمة الأدبية عامل فتح أبواب التواصل، كما برز دورها في تبادل المعارف والعلوم بين مختلف بلدان المعمورة، مما ساهم في التقاء

---

1 – دانيال هنري باجو: الأدب المقارن، ص 95.

2 – يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، ص 203.

3 – عبد القادر عميش: الخطاب من فعل التثبيت وآليات القراءة مركزية البنية وإمبريالية الدلالة، دار الأمل، الجزائر، 2012، ص 140.

الشعوب رغم تعدد لغاتها، بالإضافة إلى هذا يمكن اعتبارها مظهرا حضاريا يسعى الدارس الصورائي للبحث فيه لينقل التنوع الحضاري الخاص بأمة ما، وجعل من النصوص المترجمة أداة للكشف عن آراء وإيديولوجيات وأفكار الآخر، ووسيلة نطلع من خلالها على عادات وتقاليد وثقافة الآخر وكل ما يشمل طريقة عيشه.

ولقد عرف العرب الترجمة في العصر الأموي، لكنها بلغت أوج عطائها في العصر العباسي، حيث ازدهرت وانتشرت بفضل اختلاط العرب مع غيرهم من الهنود والروم والفرس وخاصة بلاد اليونان التي عمد المسلمون على ترجمة علومها.

وفي هذا السياق يمكن القول بأنها الوسيلة التي مهدت لتقدم العلوم والآداب لدى الأمة العربية الإسلامية، لأن المسلمين "عكفوا على دراسة علوم اليونان بما فيها الفلسفة والمنطق"[(1)]، فقد استفادوا من ترجمة الكتب وعلى وجه الخصوص ما تعلق بالفلسفة، حيث ترجموا كتاب "فن الشعر" لأرسطو، لقد ترجمه أبو بشر متى بن يونس من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، كما تأثروا بمنطق سقراط وأفلاطون وأرسطو ونقلوا معارفهم إلى لغة الضاد لكي يتسنى لهم فهمها وإدراكها. لقد لعبت الترجمة دورا كبيرا في تلقي معارف الشعوب الأخرى والاطلاع على مختلف التطورات التي توصل إليها الآخر، فلولاها لما استطاعت الذات العربية فهم الأعاجم، "فهي تقوم بدور طيب في التعريف بآثار الأمم الأخرى والأعمال الأدبية الكبرى"[(2)]، يتضح لنا من خلال هذا القول أنها قدمت لنا ثقافة وإنجازات وتاريخ الحضارة الغربية، كما نقلت إلينا أهم الأعمال الأدبية الخالدة التي خلفها كبار العلماء، وهذا دليل على أهميتها في التعريف بالآخر.

عملت الترجمة على تتبع صور المجتمعات لدى بعضها البعض "فالترجمة عامل من

1 – نصر الدين جار النبي سليمان: حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسيين، مجلة جامعة شندي، العدد1، السودان، 2008، ص 84.

2 – طه ندا: المرجع السابق، ص 32.

عوامل حوار الثقافات ووسيلة للتعارف بين الأمم"[1]، فمن خلالها تتواصل الشعوب وتتعارف وتتفتح على بعضها، فهي أداة تشجع على التبادل الثقافي للآراء والأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد، وأيضا تبادل الدراسات العلمية والأدبية ومختلف المعلومات بين الشعوب.

نقل النص من لغة إلى لغة ثانية "شكل وسيلة مهمة من وسائل الاتصال... فبواسطتها تحدث عملية التفاعل والإخصاب الحضاري"[2]، يتضح من خلال هذا القول أن الدراسات الترجمية واسطة للتواصل بين الأمم ومرآة عاكسة لصورة الآخر، فمن خلالها يحدث الاختلاط والاندماج الثقافي بين الحضارات وبواسطتها نطلع على الآخر ونكتشف أهم خصائصه ومميزاته الاجتماعية والثقافية والتاريخية والدينية...

ومن أهم الأعمال الأدبية الكبرى التي ترجمت إلى العربية نذكر: كتاب ألف ليلة وليلة، كليلة ودمنة، رواية دون كيخوته، رواية مائة عام من العزلة، رواية الإخوة كارامازوف، مسرحيات شكسبير، مسرحية فاوست، وغيرها.

وخلاصة القول إن الترجمة "سبيل للحوار الثقافي وتقارب الأفكار، وفهم للآراء ومنعرج خطير لفهم لغة الذات ولغة الآخر"[3]، فتلاحم اللغات يخلق بيئة جديدة للتفاعل والتحاور، كما يفسح المجال للمحاكاة والتلاقح الفكري، فهي طريقة لبث الإيديولوجيات وفهما، وأيضا تساهم في الانفتاح على الآخر ومعرفته، كما تعمل على مواكبة الازدهار الحضاري والثقافي في العالم، ولذا يمكن اعتبارها من أهم الوسائط لتلقي صورة الآخر.

***

---

1 – د. محمد عباسة: الترجمة في العصور الوسطى، مجلة حوليات التراث، العدد 5، جامعة مستغانم، الجزائر، 2006، ص 8.

2 – يوسف بكار وخليل الشيخ: المرجع السابق، ص 220.

3 – ماجد سليمان دودين: دليل المترجم الأردني، مكتبة المجمع العربي، ط1، الأردن، 2009، ص 10.

الفصل الثاني

صورة اليهودي في كتاب وجهة العالم الإسلامي

1 – ملخص كتاب وجهة العالم الإسلامي:

كتاب وجهة الإسلامي لمالك بن نبي في الجزء الثاني أتى بعنوان (المسألة اليهودية)، ويعتبر هذا العمل من أهم أعماله في التراث الفكري الحديث، وقد ألف هذا الكتاب يوم 22 يناير سنة 1952، لكن هذا المؤلف أرجى نشره إلا بعد مرور ستين عاما من تاريخ كتابته، وكان الأستاذ عمر مسقاوي الوصي على هذا الكتاب، ليصدر في 22 يناير عام 2012، من طرف دار الفكر بدمشق التي نشرت أول طبعة منه.

وضم محتوى هذا الكتاب كلمة الناشر، ثم مقدمة الأستاذ والمترجم عمر مسقاوي، لتأتي بعدها مقدمة المفكر مالك بن نبي، ثم نتجاوز هذا إلى القسم الأول من الكتاب والذي جاء بعنوان لغز العصر الحديث وما يستبطن، قدم لنا من خلاله ثلاثة فصول فأما الفصل الأول وهو بعنوان اليهود والحضارة الأوروبية تحدث فيه عن صلة اليهود بأوروبا، وكيف اتجهوا بعد شتاتهم إلى هذه القارة والدوافع وراء فعلهم هذا، ثم رسم لنا مسار اليهود الذين تركوا أوطانهم وتوجهوا إلى أوروبا، لينتهي هذا الفصل بالحديث عن سلوك ونفسية الأوروبي حيال اليهود، أما الفصل الثاني من هذا القسم فقد سماه صورة اليهودي كمحور في تطور الحضارة الغربية، حيث قدم لنا الكاتب خلاله أصناف اليهود وصورهم التي كانوا عليها بشكل متسلسل في تاريخ الحضارة الأوروبية منذ بداية عصرهم في أوروبا إلى غاية العصر الجديد الذي أتى بعد الحرب العالمية الثانية، أما الفصل الثالث فتحدث عن ضرورة الحياد الإسلامي ولم يتقبل الكاتب في هذا الفصل فكرة أن تكون أراضي المسلمين مكانا تقام عليه المعارك بين القوى الكبرى، كما ذكر النتائج التي حققها المسلمون نتيجة للحياد الذي قاموا به، بعد أن أبعدوا أنفسهم عن الدبلوماسية الغربية لكي لا يكونوا وقودا تشعل نيرانها.

أما القسم الثاني جاء بعنوان العالم الحديث، يصل فيه مالك بن نبي القسم الأول من هذا الكتاب، فبعد تقديمه للانتقال التاريخي لليهود إلى أوروبا وتشكل هيمنتهم ونفوذهم داخلها إلا أن تأثيرهم انعكس بالسلب على الحضارة الإسلامية وأوصلوها إلى أزمة خانقة لا مخرج منها إلا من خلال نشر الإسلام، لأنه دين أخوة ودين يصحح العقائد والقيم، ثم يلي هذا

القسم انتهاء الكاتب إلى خاتمة شكلت دعوة إلى العالم الإسلامي لينهض ويتبوأ له مكانة خاصة في العالم، وأيضا عليه بناء قيادة مركزية ليحقق السلام والاستقرار الذاتي.

2 – اليهود والحضارة الغربية:

اتجه اليهود في رحلة إلى أوروبا بعد أن تاهوا وتشتتوا على هذه المعمورة، فقد كانت القارة الأوروبية وجهتهم الأولى بعد شتاتهم، ومع دخولهم إليها قاموا بكتابة تاريخها، لأن الفعاليات التي تجسدت في الحضارة الغربية تعود إلى مجهودات اليهود الذين مثلوا روحها، فالعالم الحديث شهد سيطرة اليهودي على التسلسل الحضاري لأوروبا، فهم جزء من هويتها فتحول اليهود إلى الجزء الغربي من العالم سلوك مقصود، لأنهم يعرفون تمام المعرفة ويعلمون علم اليقين بأن الشعب الأوروبي سيستقبلهم بحفاوة ويرحب بهم داخل أراضيه، وقد حصل هذا الأمر الذي كان يطمح ويخطط له اليهود، فقد تمكنوا من المكوث بداخل هذه الحضارة الغربية، كما أنهم أسسوا علاقة وطيدة لا يمكن فسخها مع الشعب الأوروبي، وتتجلى ملامح هذه العلاقة عقب استقرارهم بأوروبا، وأيضا عن طريق تمكنهم من تغيير نفسية الأوروبي من الحاقد على اليهودي المتشرد إلى المشفق على حاله، فاليهود تركوا أثرا بالغا في عمق الحضارة الغربية ويتضح هذا الأمر من خلال:

أ – اليهود في أوروبا:

تعتبر أوروبا مهدا للعالم الحديث تعاقب عليها عدة أحداث تاريخية، من بينها تاريخ توافد اليهود إليها ولقد سيطر هذا الحدث على تطور الحضارة الغربية فقد توجه اليهود إلى أوروبا بعد هدم الهيكل الموجود في القدس، وهو عبارة عن أول معبد يهودي للتعبد وهو مكان مقدس يمارس فيه اليهود شعائرهم الدينية بغية التقرب إلى الإله، لكن عقب إتلافه تاه الشعب اليهودي وخرج من منطقة الشرق الأوسط وشَدَّ الرحال نحو البلاد الأوروبية، على الرغم من أن "الاتجاه نحو آسيا هو الأجدى والأجدر والأوفر لأسباب بادية، فاليهود ينتمون من حيث الجنس إلى أصل شرقي، ثم إن الرخاء التجاري والحضاري يحتم اختيار الانطلاق نحو مدن تتلاقى فيها عقدة الطرق التجارية والعالمية، كما هي حركة الانتقال بين الشعوب

لألفي عام بين الهند والصين، وهذه الطرق تتلاقى حين تمر بالضرورة عبر الشاطئ اليمني – الطريق البحري – أو عبر فارس وآسيا الوسطى عبر خطوط القوافل"[1]، وفي مقابل كل هذه العوامل الدالة على الرخاء التجاري والحضاري لم يتجه اليهود إلى آسيا وفضلوا السير إلى الغرب، لقد كانت أوروبا في ذلك الحين تعاني من الفقر والتخلف، كما أن حضارتها لم تكن قائمة بعد وليس لديها ماض ثقافي أو علاقات مع الأمم القديمة.

بعد حدوث الشتات اليهودي فضل اليهود المضي قدما نحو الغرب، وقرارهم هذا لم يأتي من العدم بل كان مخططا لهذا الأمر ومدبرا له "فالذي توافر لليهود في أوروبا لم يكن متوفرا لهم في البلاد الآسيوية مادام اليهود في مصر الفرعونية والإمبراطورية الآشورية يعيشون شروط المنبوذين والعبيد... فاليهودي – بكل بساطة – لا يريد أن يستعيد تجربة آبائه العبيد في آسيا وفي مصر"[2]، اتضح من هذا القول أن اليهودي يرفض العودة لأرض أجداده بالشرق نظرا للذكريات المؤلمة التي عاشها أسلافه هناك في البلاد الفرعونية والحضارة الآشورية، فقد انعدمت أدنى شروط الحياة، إذ كان اليهود يعاملون بقسوة ويتم استعبادهم واسترقاقهم من قبل المشارقة الذين نبذوهم وأساؤوا التصرف معهم لذا قرروا المضي قدما إلى أوروبا، واعتبروها الخيار الأمثل للاستقرار والعيش بسلام وأمان.

فبعد هدم الهيكل من طرف حملة "تيتوس (Titus) سنة 70 ميلادية والتي أعقبت الثورة التي قاموا بها ضد السلطات الرومانية، إذ يؤكد المؤرخ أوروسيوس على تفريقهم وشتاتهم"[3]،

فقد قام تيتوس إمبراطور المملكة الرومانية بهدم الهيكل الثاني بالقدس وهو معبد يهودي، كما أنهى تمرد اليهود وطردهم من القدس، وفي هذا الموضع أشار مالك بن نبي

1 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، ط1، سوريا، 2012، ج2، ص 43.

2- المرجع نفسه، ص 49.

3 – مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، ط2، الجزائر، 2009، ص 18.

إلى أن الإقامة الجديدة لليهود هي أوروبا "وذلك يعود لطبيعة الأوروبي المنفتح، فالخيار... مكن لليهود القادمين ما لم يكن مألوفا في الشرق"[1]، حيث يرى الكاتب أن الفرد الأوروبي ليس كنظيره الشرقي، إذ يتسم الأوروبيون بسمة الانفتاح على الحضارات والأجناس، مما جعل اليهود يتخلصون من عقدتهم تجاه الشرق، ويقومون باختيار أوروبا، فالغربي يسهل التعامل معه نظرا للعقلية اللينة التي تميزه، وصدره الرحب فهو دائما يتطلع لإقامة علاقات مع الآخر، فليس له عمق حضاري "على خلاف الشرقي الذي امتزج سلوكه بثقافات الأمم القديمة على اختلافها"[2]، إذ يعد من أول المعمرين على هذا الكون وهو يمتلك بعدا روحيا وحضاريا في جذور التاريخ، لكن رغم هذا أهمل اليهود وجعلهم في الهامش، يرى مالك بن نبي حسب وجهة نظره أن اليهود "جاؤوا إلى أوروبا مشتتين منبوذين غير فاتحين، لكن الشعب الأوروبي أوسع لهم الإقامة والضيافة، وغدوا في النهاية هم المسيرين الحقيقيين للعمل الأوروبي والثقافة والسياسة والحياة الاقتصادية"[3]، قوله هذا دليل على الحفاوة التي حظي بها اليهود لما استقبلتهم أوروبا، فقد فتحت لهم أبوابها ليدخلوا إليها آمنين، أين لقوا هناك حسن الضيافة في معاملة الأوروبيين لهم، وتم الترحيب بهم واستقبالهم في هذه الإقامة الجديدة وهذا ما ساعد اليهود على بث خططهم داخل هذا المجتمع، وكانت نتيجة هذا الأمر السيطرة على أوروبا في شتى الميادين، فقد أصبحوا هم الآمر الناهي على الشؤون الأوروبية سياسيا وثقافيا واقتصاديا... بعد أن كانوا مجرد دخلاء.

سهولة التعامل مع الرجل الأوروبي دفعت باليهود إلى رسم طريق الهجرة نحو الغرب، وخيار اليهودي هذا راجع إلى طبيعة الأوروبي فهو كالعجين الذي يسهل تشكيله، كما أنه

1 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 49.

2 – شهرة بلغول: صورة اليهودي في كتابات المفكرين المغاربيين (ألبير ميمي ومالك بن نبي نموذجا)، مجلة التواصل، العدد1، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي المختار، عنابة، مارس 2020، المجلد 26، ص 41.

3 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 49.

منفتح على الحضارات الملتفة به، ولقد كان هذا المشرقي اليهودي يحاول الوصول إلى أهدافه عبر بوابة أوروبا التي تمنحه القدرة المالية في مساره الذي يطمح لبلوغه ولقد استفاد اليهودي من نفسية الأوروبي فهو "صادق مع نفسه وشريف لكنه متطلع إلى المادة أكثر منه مستلهما لصفاء الأخلاق، وهو ذكي في مداه الجمالي، لكن لا يقيده التزام ثابت ولا أفق بعيد، وذلك ما عبد الطريق للعبة اليهودية بخلاف المشارقة الذين لديهم خبرة باليهودي الذي عجنوا لعبته في التعامل سواء في مجال اللاأخلاقية أو الجمود على المبادئ"[1]، يتضح من هذا القول أن مزاج وطريقة تفكير الأوروبي خدمت وساعدت اليهودي على الاستقرار بأوروبا، فقد وجد في الذات الأوروبية الصدق والشرف وحب المادة والسعي إلى تحقيق المكاسب المادية، بغض النظر عن الوسائل المتبعة في ذلك، فالأخلاق بالنسبة للأوروبي ليست ضرورية في عالم المال فما يهمه هو الفوز والربح المادي لا غير، كما أنه لا يملك علاقات حضارية سابقة مع الأمم القديمة، وليست لديه التزامات ثابتة مع غيره ولا آفاق بعيدة يخطط لبلوغها وهذا ما جعل اليهود يسعون للاندماج في المجتمع الأوروبي المنفتح حضاريا، على عكس المشرقي الذي يحيط علما بماضي اليهود وقذارتهم اللامتناهية، فقد قاموا بذم اليهودي لسوء أخلاقه وخصاله وجعلوا منه منبوذا بسبب الفساد الذي أحدثه في الأرض، ونظروا إليه على أنه ذلك الخبيث والجشع والمحب للفاحشة وأكل الربا، ويرى مالك بن نبي أن "الأوروبي كان – نوعا – الآلة الجاهزة لمهمة إسرائيل"[2]، بناء على هذا يشير الكاتب إلى أن اليهودي له مهمة سينجزها عن طريق الأوروبي الذي اعتبره الآلة الجاهزة التي ستمهد له الطريق لاحتلال مكانة مركزية بأوروبا، فهو يتطلع للسيطرة على الفكر الغربي.

حاول مالك بن نبي العودة إلى التاريخ الأوروبي ليقف على أحداثه الماضية، محاولا الكشف عن علاقة اليهود بأوروبا قبل شتاتهم فوجد في العمق الأوروبي "منحة حرب

1 – المرجع نفسه، ص 51.

2 – نفسه.

العقاب... وهي اسم لثلاثة حروب بين قرطاجة وروما 146-264 قبل المسيح" [1]، وهي حروب دفعت الكاتب إلى التفكر، مما جعله يطرح الإشكال الذي لم يطرحه أي أحد قبله من المؤرخين، إذ يقول فيه: "لماذا احتفظت روما لنفسها حينما هزمت أثينا بالثقافة المنشأة والمدارس، على عكس ما فعلت قرطاجة حينما انهارت أمامها فمسحت المدينة الفينيقية وهدمتها عن آخرها ولم تترك من حضارتها ولا من ثقافتها أيما أثر؟"[2]، ترمز هذه الجزئية إلى حدثين مهمين وقعا مع الإمبراطورية الرومانية، فالأول تمثل في هزم روما لأثينا ولكن انتصارها هذا لم تهدم خلاله المنشآت الثقافية والمدارس بل أبقتها على حالها كما هي، أما الحدث الثاني فتمثل في هدم روما لمدينة قرطاجة، فقد قامت بمحو آثارها وثقافتها فلم تُبق ولم تذر منها أي شيء، وهدمت صورة هذه المدينة الفينيقية عن آخرها ولقد بحث الكاتب عن السبب الذي جعل الرومان يحطمونها ويقومون بإتلاف حضارتها، مما جعله يتوصل إلى فكرة مفادها أن النفوذ اليهودي داخل الإمبراطورية الرومانية هو السبب وراء تحول حضارة الفينيقيين إلى مجرد ركام، فاليهود كان لهم دور في اتخاذ القرارات ببلاد الرومان آن ذاك، حيث قاموا بتوجيه السياسة الرومانية على نحو يخدم مصالحهم الشخصية فهم المسيطر الخفي على روما، ولقد أبدى الكاتب حدثا خفيا في حرب روما ضد قرطاجة وقد وقع هذا الحدث "قبل ألفي عام، ينبغي النظر إلى التأثير اليهودي... على مؤسسات الإمبراطورية الرومانية"[3]، أشار قوله إلى أن هذا الأمر مر دون اهتمام فلم يلتفت أحد للدور الفعال الذي لعبه اليهود داخل هذه الإمبراطورية، فقد احتلوا مكانة مركزية في تاريخها وكان لصوتهم صدى واسع في روما، كما أنهم أصحاب نفوذ ولهم سيطرة محكمة على الحياة الرومانية، إذ كانوا هم المسيرين للحركة المالية والاقتصادية بتلك البلاد.

وفي مقابل هذا كانت قرطاجة إمبراطورية قائمة بذاتها، في عالم الاقتصاد وكذا

---

1 – نفسه.

2 – المرجع نفسه، ص 52.

3 – نفسه.

الأعمال، كما أن تجارتها اتسمت بالازدهار والتقدم، مما دفع بيهود روما إلى منافستها كي لا تستولي على التعاملات التجارية في الجهة الشرقية من العالم وأيضا الجهة الغربية، فقد أراد اليهود تثبيط الهيمنة الاقتصادية لمملكة الفينيقيين فراحوا يقيمون حربا ضدها، إذ يرى مالك بن نبي أن حربا قامت "بين يهود روما وتجار قرطاجة حيث الحرب الضروس ولم تقف ضد قرطاجة بتأثير فعلي من اليهود"[1]، ويتجلى من خلال قوله حدوث حرب طاحنة بين أبناء المملكة الفينيقية ويهود روما بسبب رغبة كلا الطرفين في فرض هيمنته الاقتصادية، لكن الحظ في الأخير ابتسم ليهود روما الذين فازوا بهذه الحرب الدامية.

واستطاعوا إيقاف المنافسة الفينيقية ضد تجارتهم، "فنظرا للخطر الذي مارسه الفينيقيون على تجارة اليهود كان هذا الرد العنيف لمحو كل آثارهم مستقبلا"[2]، ويتبين من خلال هذا القول أن قرطاجة توفرت على إمكانيات مادية ضخمة، وهذا العامل أدى إلى ثورة يهود روما ضدهم بطريقة وحشية تسببت في هدم حضارة قرطاج عن آخرها، كما أن عملهم هذا لم يأتي من العدم بل هم يحملون حقدا دفينا ضد الشرق، فماضيهم ومأساتهم مع الشرقيين دفعتهم للانتقام، حيث أشار مالك بن نبي إلى أن الحروب الفينيقية مع روما أضاءت "معطى مركزيا لنفسية اليهود، التي هي الكراهية الموروثة نحو آسيا من الآباء إلى الأبناء"[3]، يتضح من قوله أن ماضي اليهود يحمل كراهية اتجاه الشرق انتقلت من أجداد اليهود إلى أحفادهم، فنفسية اليهودي عانت ولا زالت تعاني من عقدة الخطر الإسلامي عليها، ومن الخطر الآسيوي وسوء معاملة المشارقة لليهود دفعتهم للوقوف بجانب الحضارة الغربية رغم أصول اليهودي الشرقية، لكنه اعتزل عالمه القديم وتاه ليحصل على إقامة جديدة داخل أوروبا وليحظى بمستقبل جميل ينسيه آلامه، فقد ترك ماضيه ورائه ليحقق أفكاره وأحلامه.

---

1 – المرجع نفسه، ص 53.

2 – شهرة بلغول: مجلة التواصل، ص 41.

3 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 54.

وخلاصة القول بأن اليهودي في أوروبا تحولت صورته من مجرد فرد تائه إلى إنسان مستقر، فبفضل احتكاكه بالأوروبيين وتأثيره على أفكارهم استطاع أن يرسم صورة له في الحضارة الأوروبية في عدة ميادين كالتجارة والصناعة والسياسة، كما أن اليهود خططوا وقادوا الحروب والمعارك الأوروبية وساهموا في الفوز بها، وأيضا احتل اليهودي مواقع مختلفة في هذه الحضارة فاليهود كان لهم دور أساسي داخل هذه القارة، وبهذا يكون اليهودي ذو بصمة فعالة ومؤثرة في أوروبا.

ب – اليهودي التائه في نفسية الأوروبي:

بعد بداية الشتات خرج اليهود من الشرق، حيث كانوا يمكثون في أرض سوريا، وبابل بالعراق، وفلسطين، ومصر... وقد عمروا طويلا في هذه البلدان إلى أن تم طردهم من الشرق، مما تسبب هذا في تشتتهم في أنحاء العالم، ذهب اليهودي إلى أوروبا وبمجرد وصوله وجد نفسه أمام نفسية الأوروبي التي تحمل صراعا داخليا ضد اليهودي، فضمير المسيحي الأوروبي يحمل أمرين متعارضين تجاه اليهود، إذ يعتقد المسيحيون أن اليهود هم من قتل المسيح عليه السلام، وفي هذا المقام نجد القرآن الكريم يشير إلى هذا الادعاء الكاذب في قوله تعالى "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا اَلْمَسِيْحَ عَيْسَى اَبْنَ مَرْيَمُ رَسُوْلَ اَللّه" الآية 157 من سورة المائدة، ترمز هذه الآية الكريمة إلى أن اليهود يفترون على الله الكذب بأنهم قتلوا المسيح، كما ورد هذا الادعاء في كتاب الإنجيل وقد صدق أهل الإنجيل من النصارى هذه الأكذوبة مما جعلهم يكنون الحقد والبغضاء على اليهود، وفي مقابل هذا نجد اعتقادا آخر للأوروبي المسيحي إذ يرى بأن اليهود يحملون مسؤولية وعد الله لإبراهيم وذريته، ومن هنا يتضح بأن مسيحيي أوروبا ينظرون إلى اليهود على أساس أنهم قتلة المسيح من جهة ومن جهة أخرى هم أصحاب الوعد الإلهي.

في مرحلة الشتات اليهودي شهد العالم نزوح اليهود إلى المدن الأوروبية، للبحث عن أماكن يستقرون فيها، وبمجرد دخول اليهودي إلى أوروبا وجد نفسه معزولا عن الجميع يقبع

داخل الغيتو* اليهودي، كما أنه اعتبر هذا الأمر عاديا ولا ينقص من قيمته، فاليهودي تقبل هذا الوضع وراح يرسم لنفسه أفكارا وبرامج لتحقيقها.

رسم مالك بن نبي عدة تمثلات لهؤلاء اليهود الذين يظنون أنهم شعب الله المختار، حيث يراهم شعبا ذا رقاب قاسية، كما يعتقد أن "نفسية اليهود المعقدة تفاجئ التحليل السطحي الذي يقف عاجزا عن التوفيق بين معطيين متعارضين في نفسيته، تكبُّر بغير حدود وقدرة لا تحتمل على ابتلاع الإهانة والإذلال"[(1)]، يتضمن هذا القول أن اليهودي يمتلك نفسية يصعب فهمها لما تحمله من تعقيد، فلا يمكن التنبؤ بالمواقف التي سيصدرها، فتراه يحمل في ذاته انطباعين متناقضين فأحيانا يعلن تكبره وتجبره وغطرسته بشكل لا متناهي، متناسيا بأنه مجرد منحط يقيم بداخل الجيتو، وأحيانا أخرى نجده يهوديا ذا عزة نفس وكرامة لا يقبل أن يهان أو يتم تذليله واحتقاره، فليست له القدرة على تحمل الإهانة من غيره.

سعى اليهودي إلى الاندماج في المجتمع وهذا ما دفعه إلى مغادرة الشرق باتجاه أوروبا، حيث نجد "اليهودي في بكين أو طوكيو مثلا لا ترتاح نفسيته إلا حينما يصبح بينهم غير معروف النسب والعنصر، فإذا اتفق أن التقى أحدهم مع يهودي التقاه صدفة في قطار فتخاصم معه وقال له: يا يهودي فهنا يُغَيَّرُ اليهودي الموقف نحوه ويصبح لطيفا وقريبا"[(2)]. يشير قوله هذا إلى أن الفرد اليهودي في المدن الآسيوية كطوكيو وبكين يخفي هويته ويسعى لأن يكون مجهولا، فانتماؤه اليهودي يشكل خطرا عليه، فهو ذلك المنبوذ من طرف المشارق لذا أراد أن يكون تواجده هناك غامضا وغير واضح.

عاش اليهود في أوروبا تحت وطأة الإذلال والانتقاص من شأنهم فقد "واجه اليهود في أوروبا بعد فترة وجيزة من تأسيس المسيحية مارست الإقصاء الاجتماعي والتحقير، حيث

---

* الغيتو: لفظ يرمز إلى المنطقة المعزولة التي سمح لليهود بالعيش فيها، والتي أجبرتهم على العيش في ظروف قاسية (الفقر، المرض) حيث فرض عليهم في هذا المكان قواعد وقوانين صارمة.

1 – المرجع نفسه، ص 61.

2 – نفسه.

ألقيت عليهم مسؤولية موت المسيح، مع ذلك... تصبح الكراهية العنيفة ضد اليهود جزءا من الحياة اليومية للمجتمعات اليهودية في أوروبا"[1]، فقد تم إقصاء اليهود من المجتمع الأوروبي، والكنيسة هي التي كانت تقوم بمضايقتهم كما رأت بضرورة التهجم على قتلة المسيح، وبهذا ضعف اليهود وأصبحوا يفضلون العزلة، بعد أن لحقت بهم المعاناة من قبل المسيحي الذي اعتبرهم مبدأ للشر ومصدرا للخيانة الإلهية، وحمل ضدهم مشاعر الكراهية والبغضاء.

ويرى مالك بن نبي أن "اليهودي لا يستطيع الاندماج في المجتمع الأوروبي إلا ووجوده مغلف بالغموض واللغة والأسطورة، والمسيحي الذي يراه مصادفة يمارس غريزيا إشارة الصليب التي تبعد الروح الشريرة"[2]. يتضح لنا مما ذكر سابقا أن اليهودي عانى الاضطهاد من قبل الأوروبيين فلا يسمح له بالعيش كمواطن داخل أوروبا كبقية أفراد المجتمع، وإذا التقى بالمسيحي فسوف يخفي هويته الحقيقية ولن يكشف عنها، خوفا على نفسه من القتل نتيجة للأساطير الكاذبة التي أطلقتها الكنيسة في حقه، فهي ترى أن اليهود يقومون بخطف وتقتيل الأطفال المسيحيين لاستخدامهم في طقوسهم الدينية كما وصفتهم بالوحوش الشبيهة بالحيوانات، وإذا رآهم المسيحي بالصدفة فيقوم برسم إشارة الصليب بشكل فطري، فهو متعود على هذا الفعل عند رؤية اليهود فهو يحسبهم نذير شؤم عليه، ولابد من إبعاد أرواحهم الشريرة عنه لكي لا يسمه السوء، وخوفا على ذاته من هذا القاتل اليهودي الذي يسفك الدماء.

رسم اليهودي في ذهنه أفكارا سلبية عنه فهو "يعرف بأنه محاط بالكراهية الصامتة والغريزية، سواء كانت الكراهية من الشعب أو من الأمير، لذا فهو يوظف حياته ونشاطه

---

1 – دافيد أوغستر: أوروبا المسيحية خلقت كراهية اليهود في العصور الوسطى، موقع: https://swissinfo.ch

2 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 62.

لمصلحة الجيتو الذي ينتمي إليه والذي يجد عنده الأمان والخصوصية"[1]، من خلال هذا القول يتبين أن اليهود عانوا من الكره والحقد من طرف الشعب الأوروبي والأمراء الذين ينتمون إلى السلطة الحاكمة بأوروبا، وهذا الأمر دفع باليهودي إلى تسخير جل أعماله وطاقاته التي ينجزها خدمة لأبناء جلدته من اليهود الذين يسكون الجيتوهات، فعلى الرغم من أن وجودهم ينحصر داخل الجيتو الذي يحتوي على منازل صغيرة ومكتظة، كما ينتشر فيه الفقر والتعسف والاضطهاد، كما أنهم عاشوا في ظل قوانين وقواعد صارمة فرضت عليهم، إلا أن اليهودي يحس بالطمأنينة والأمن والأمان داخل أسوار الجيتو بعيدا عن الأوروبيين، فهو في معزل عنهم ويعيش في عالم خاص به تجنبا للذهنية الأوروبية التي احتقرته وحطت من قيمته بعد ظهور المسيحية.

عَمَّرَ اليهودي في وقت مضى داخل أحياء خاصة به تدعى بالجيتو ولقد فرض عليه العيش أولا ضمن شروط تتناسب وعدم المساس والعزلة، لذا سيعيش منفردا في الجيتو، ولم يكن ذلك لينقص من قدره"[2]، يتضح من هذا القول أن اليهودي تم توجيهه من قبل الأوروبي إلى العزل الاجتماعي لأن طابع حياة اليهود يدفع بهم "إلى التجمع والإقامة معا في شارع واحد أو حي واحد، محافظة على الشرائع الدينية، وتبادل المساعدة كأقلية مضطهدة، ولضرورة الأمن كغرباء مكروهين"[3]، حيث ساهم انفراده هذا في التقليل من الاختلاط المسيحي والحد من الشبهات والاتهامات ضده، وتكوين محيط خاص به يحتوي على أفكاره وأحلامه التي يطمح لبلوغها، وعزلته هذه لم تحط من قدره بل أعطته أملا لمواصلة مشواره في هذه الحياة.

---

1 – المرجع نفسه، ص 62.

2 – المرجع نفسه، ص 61.

3 – كامل سعفان: اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان، دار الفضيلة، مصر، 1900، ص 148.

مع بداية النهضة الأوروبية تفتحت أذهان أمراء أوروبا، وصاروا يميلون للفخامة والأشياء الثمينة كالمجوهرات، حيث قصد الأمراء الجيتو للقيام باقتناء الصياغة من اليهود بصفتهم زبائن لهم، فوجدوا هناك جواهر فنية استطاع من خلالها اليهودي إرضاء روح وفؤاد المسيحي البرجوازي الذي انجذب نحو هذه التحف الذهبية المصنوعة بأيادي يهودية.

تمكن اليهود من خلال علاقاتهم التجارية مع الأوروبيين من افتكاك مكانة مرموقة في المجتمع الغربي، جعلته يتخلص من عزلته التي عانى منها لفترة طويلة من الزمن، وبهذا راح اليهود يندمجون في الحياة الوطنية بأوروبا.

لَمَّحَ مالك بن نبي إلى أنه "كان على اليهودي أولا وقد عرف طبيعة الأوروبي في العمل كرجل جيد وسريع التأثر، وقلبه يفيض شفقة، أن يبدأ ليحقق أول ثورة في أوروبا على التقاليد"[(1)]، يتضح من قوله أن اليهودي عرف كيف يستغل نقطة ضعف الرجل الأوروبي، التي تتجسد في عاطفته وأحاسيسه المرهفة وانفعالاته تجاه الأشياء، فهو يحمل رهافة قلب وشفقة ورأفة، مما جعله يتأثر بأبسط الأمور التي تبعث على المواساة، وبهذا رَاحَ اليهودي يسعى لتغيير مكانته وصورته في المحيط الأوروبي عن طريق استعطافه للغربيين.

ظن مالك بن نبي "أن اليهودي أمام شعوره بما غلف وجوده من نظرة ريبة واحتقار في عيني المسيحي، بدأ يطرح في إحساس الأوروبي أسطورة اليهودي الهائم على وجهه، بدلا من صورة يهودي جشع ووثني كافر دنيء وقاس تبعث على الاشمئزاز"[(2)]. يتبين من خلال هذا القول أن اليهودي انتقل من صورة المغضوب عليه والدنيء والذي يحمل صفات سلبية كالجشع والكفر إلى صورة المعطوف على حاله والمثير للشفقة والرأفة، ولقد دفعت هذه الصور الحزينة الأوروبي إلى الإحساس بالمودة والتسامح واللِّين اتجاه اليهودي، الذي تبحر وهَامَ في هذا العالم جزاء لذنوبه التي ارتكبها، فبهذا سيظل متشردا إلى أجل غير محدد.

بالإضافة إلى هذا نجد أن اليهودي اشتهر بأسطورة الشتات التي لازمته في العصور

1 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 62.

2 – نفسه.

الأولى والتي تمثلت في "أسطورة اليهودي التائه الذي كتب عليه الشتات كفارة عن ذنب إعدام المسيح"[1]، فقد تم تداول هذه الأسطورة عبر الأجيال والأجداد الذين قاموا بقص الحكاية للأطفال، كما حدثوهم عن المأساة التي مر بها اليهود في وقت سابق، من فقر وتشرد هنا وهناك وتيهان على هذه المعمورة فرغم تعاقب الأجيال الأوروبية إلا أنها لا تنسى هذه الأسطورة، بل يعاد قصها مع كل جيل وصولا إلى القرن التاسع عشر، هذه الخرافات التي لفقت حول اليهودي جعلته يصنف ضمن تقاليد أوروبا المسيحية، وبهذا انتقل من صورة القاتل واللعين إلى صورة المشفق عليه من قبل الأوروبيين الذين صنفوه كمعيار تربوي في تقاليدهم.

وخلاصة القول إن اليهودي تاه وتشتت في نفسية الأوروبي ليؤثر عليه وليبث أفكارا إيجابية عنه في أذهان الغربيين، الذين وافقوا على اندماجه في مجتمعهم وبهذا تحول من مجرد قاتل منبوذ إلى فرد مرحب به في أوروبا.

3 – صورة اليهودي عند مالك بن نبي:

ذهب اليهودي في رحلة إلى أوروبا وهو يخفي شخصيته الحقيقية، حتى يجد القبول هناك ولقد مر تواجده في أوروبا بعدة مراحل، وكما أنه رسم طريقة لكي يندمج بها في المجتمع الغربي وهذه الطريقة جعلته يحافظ على كيانه باعتبار أن اليهودي مهما كان تحكمه عقدة أنه من شعب الله المختار، بعد توجهه إلى الغرب سكن الجيتو بضواحي المدن الأوروبية، ومع مرور الزمن تحول اليهودي شيئا فشيئا من مجرد مقيم على الأراضي الأوروبية إلى يهودي يقف على قمة الحضارة الغربية.

حدثت مع اليهودي تحولات نفسية واجتماعية في شخصيته، ومن خلال رحلته التي خرج فيها تتبع مالك بن نبي المسار التاريخي الذي مر به اليهود، حيث توصل إلى أن اليهود لهم أصناف متعددة عاشت في أوروبا، تطورت بتطور وجوده في هذه القارة، فقد راح

1 – محمد عارف: عودة الشتات اليهودي إلى الشتات، 13 أغسطس 2014، موقع: https://aletihad.ae

إلى الغرب ليحقق أهدافه وطموحاته رويدا رويدا في المجتمع الأوروبي، حيث شكلت الشخصية اليهودية عدة تمظهرات مختلفة تطورت خلال العصور الأوروبية، كما يرى مالك بن نبي بأن اليهود ليسوا على صورة واحدة بل على عدة صور والتي نذكر من بينها:

أ – اليهودي المثقف والمواطن:

عانت أوروبا في العصر الوسيط من سيطرة أفكار الكنيسة وخدامها من الرهبان على الحياة الفكرية، فقد هيمن الدين المسيحي على النشاط الفكري من خلال نشره للخرافات والبدع التي لا أساس لها من الصحة، وفي هذا هي إتباع لأوامر الرب، لكن سرعان ما تغير هذا الوضع مع بداية عصر النهضة الأوروبية، حيث برزت عدة أسماء من البرجوازيين المثقفين الذين نشطوا الفكر الأوروبي بعيدا عن خزعبلات الكهان المسيحيين وأناروا أفكار الأوروبيين، ومع حلول عصر النهضة أصبحت أوروبا تزخر بأيديولوجيا تدعو إلى النهوض والتقدم في شتى الميادين.

ولقد كانت النهضة الأوروبية سببا في قبول اليهود داخل هذا المجتمع الغربي، إذ يعتبر مالك بن نبي "اليهودي بمثابة العقل المفجر للأسس الفكرية لعصر الأنوار، إذ عقب الاضطهاد الذي لحقه خلال العصور الوسطى، جاءت فترة الخلاص نتيجة الإعلاء من شأن العقل من ناحية، والدور الاقتصادي الذي لعبه من ناحية أخرى، فكان الشعور العام لدى المثقفين الأوربيين هو الترحيب به، مما أدى إلى بروز مفكرين يهود في مجالات معرفية مختلفة لا بل تبوؤا صدارتها"[1]، فهذه النهضة حسب الكاتب هي الدافع الأول لتفجير الفكر اليهودي، فاليهود رأوا بضرورة إعمال العقل لتخليص أوروبا من مخلفات عصر الظلام الذي عاشت فيه، ولقد برزت في الأفق الأوروبي أسماء يهودية من النخبة المثقفة، والتي من بينها

---

1 – شهرة بلغول: صورة اليهودي في كتابات المفكرين المغاربيين (ألبير ميمي ومالك بن نبي نموذجا)، مجلة التواصل، العدد1، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي المختار، عنابة، مارس 2020، المجلد 26، ص 43.

الفيلسوف "سبينوزا الذي نوقش كتابه الأخلاق"[1]، ويعد هذا اليهودي من بين أشهر المثقفين بالغرب بتأليفه للعديد من الكتب والتي من أشهرها الأخلاق، ولقد شاع من خلال أفكاره الفلسفية التي دار حولها الجدل في أرجاء أوروبا.

ازدهرت أفكار المثقف اليهودي لدى المجتمع الغربي، وهذا يعد دليلا على أنه ترك بصمته في أمور الشأن العام بأوروبا، فقد ساهمت تأملات الطائفة اليهودية في جعل شعبهم كتلة واحدة، حيث كانت كل أعمال الفرد اليهودي تدور حول فكرة واحدة مفادها أن جل إنجازاته ونشاطاته هدفها بلوغ الريادة، وقيادة جماعته نحو القمة وتحقيق الأفضل خدمة لمصالح مجتمع يهودي محكم التنظيم، وحسب تفكير اليهود أي عمل لا يصب في مصالحهم هو عمل مضر ومنبوذ فقد عرف اليهودي "كيف يجمع نشاطاته في هدف واحد هو تنظيمها الداخلي، بمعنى أن يوظف مختلف الإنجاز في خدمة الهدف النهائي الذي يسعى إليه مجتمع جيد التنظيم"[2]، يتضح من هذا القول أن اليهودي وضع نصبه عينيه هدفا واحدا هو تسخير كل طاقاته المختلفة التي يقوم بها من أجل تقديم منافع لجماعته اليهودية التي يعيش في كنفها، ولكي يدفعها نحو الازدهار والسمو بنظامها الداخلي.

وجد مالك بن نبي أن هذا المثقف هو الذي يقوم بمبادرات تحسب نتائجها لفائدة اليهود حيث يعتبر "اليهودي في هذه المجموعة كمجتمع سواء، تتساوى فيه خواطره أو مبادراته مع مصلحة الطائفة بأجمعها، فهو يرى نفسه في مجتمع كشركة سرية لها مكانتها في نشاطه، وتضطره أن يفكر ويتنبأ مسارها المستقبلي، كحالة سبينوزا مثلا الذي كان عليه فعلا أن ينظر بما هو أبعد من عصره في كل ما يقتضيه ذلك من مواجهة الإسلام"[3]، أشار من خلال قوله أن اليهودي الفذ هو من تساهم أفكاره وتأملاته وطاقاته في ريادة اليهود إلى موقع متقدم، فهو ينظر إلى ذاته داخل مجتمعه الذي يعده شركة سرية لها دور فعال في

---

1 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، ط1، سوريا، 2012، ج2، ص 64.

2 – المرجع نفسه، ص 65.

3 – نفسه.

أعماله الشخصية التي ينجزها، مما يدفعه إلى التفكير بمصير جماعته وكيف سيكون مستقبلا، ومن بين المفكرين اليهود الذي استشرفوا الزمن الآتي يطفوا إلى السطح اسم سبينوزا الذي نادى بضرورة القضاء على الإسلام لكي لا ينتشر فهو يشكل خطرا على اليهود خصوصا وعلى أوروبا بوجه عام.

ساهم اليهودي المثقف في تكوين حلقة وصل بين الشرق والغرب من خلال نقله للموروثات اليونانية الفكرية إلى أوروبا، كما أنه سعى إلى وضع حد للديانة المسيحية من خلال توجيه أوروبا نحو الإلحاد، وهذا "لأن شعب الله المختار يتعاون مع الملحدين... وذلك لأنهم يريدون أن يدمروا المسيحية التي تنكرت لهم والتي تدين لهم حتى باسمها ولم يعودوا يستطيعون تحمل سلطتها"[1]، فاليهود لم يقفوا إلى جانب الملحدين من تلقاء أنفسهم، بل لأنهم عاشوا في وضع سوداوي ومظلم تحت حكم المسيحيين فاليهودي رأى بضرورة تدمير الديانة المسيحية التي اضطهدته في العصور الوسطى، ليتم استبدالها بالعلمانية التي تفصل الدين عن الدولة، ولقد نجح اليهودي في هذا، حيث صار الأوروبيون يدينون دين الإلحاد ويعانون من ضعف الوازع الديني المسيحي، والغرض من قيامه بهذا العمل هو التطلع للحياة الثقافية بأوروبا، والخروج من عزلته التي عانى منها بالجيتوهات، وللانتقام من تجبر المسيحيين ضد اليهود.

صور مالك بن نبي اليهودي على أنه ذلك العبقري الذي أسهم "في تكوين الأفكار في أوروبا، وعلى الخصوص فكرة الاستعمار، إذ نجدها ردة فعل مزدوجة خاصة في العقلية اليهودية، وهي ترتكز على الكراهية لكل ما هو آسيوي، وهي ردة فعل مزدوجة: الكراهية لآسيا ولإسلام معا"[2]، يتبين من خلال هذا القول الدور الفعال الذي لعبه اليهودي في الحياة الفكرية الأوروبية، فقد فرض أفكاره على الأوروبيين، كما ساهم في تكوين الأديولوجيات

---

1 – سعد البازعي: المكون اليهودي، في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2007، ص 33.

2 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 65.

بالغرب، وأيضا أطلق فكرة الاستعمار التي أساسها قائم على كره كل ما يتعلق بآسيا والدين الإسلامي.

شهدت أوروبا أحداثا دامية تمثلت في إبادة المسلمين بأبشع الطرق للحد من انتشار ديانتهم، ويظهر هذا جليا في المذابح التي قامت بها عدوانا وظلما في حق الأمة الإسلامية، بسبب حقدهم وكرههم للمجتمع الشرقي ولكنها في مقابل هذا احتفظت باليهود لأنهم يحملون نفس العقلية الأوروبية، وهي إبادة الإسلام والمسلمين، فالحضارة الغربية استفادت من أفكار اليهود الرامية للقضاء على الشرق وتعاليمه الدينية ونبذه من الوجود، كما أن الفكر اليهودي هيمن على معالم الحياة الثقافية بالغرب، حيث رسم اليهودي تصوراته وأفكاره التي تجسدت في خلقه للنظام الرأسمالي الاقتصادي وكذا العنصرية التي تدعو للتفرقة كما جاء بفكرة الاستعمار.

وخلاصة القول إن اليهودي المثقف كان له دور في بناء الحياة الثقافية والفكرية بأوروبا كما أنه أسهم في "خروج اليهود فورا من عزلتهم المعنوية داخل أسوار الجيتو، أما المدى البعيد فهو إدارة هذه الحياة الفكرية"[1]، فقد كانت له يد في تنمية هذه الحضارة الأوروبية وفي نجاح العلاقات السياسية، كما أن تفكيره واقتراحاته طبقت على أرض الواقع، مما سهل في رسم صورة حسنة عنه و لذلك أصبح ينظر إليه على أنه ذلك المفكر العبقري.
وأما اليهودي المثقف فقد ثار ضد المجتمع الغربي وتخلص من صورة الشفقة والخضوع وطلب الرحمة من قبل أسياده الأوروبيين، ورسم لنفسه كيانا مستقلا خاصا به خارج نطاق العبودية والتذلل، حيث تمرد على الأفكار والعادات الغربية، التي جعلت من اليهود مجرد عبيد، لكن المواطن اليهودي لم يسمح بأن تمارس عليه طقوس العبودية، وغير خصوصياته بهدمه لحاجز العبودية الذي كان يعيقه، فقد أشعل ثورتين تمثلت الأولى في التمرد ضد التقاليد أما الثانية فهي ثورة في الحياة الفكرية والثقافية، هاتان الثورتان قلبتا معايير نظام

1 – المرجع نفسه، ص 67.

التراتبية في أوروبا، وهذا الأمر عاد بالنفع على اليهود الذين تخلصوا من تسلط النظام الملكي الجائر، وهكذا أخذ المواطن اليهودي حقه من الأراضي الأوروبية.

ولما كان المجتمع يعيش في ظل التراتبية خيم عليه التشاؤم والأمية والفقر، لكنه رغم هذه الظروف يظل أوروبيا شريفا ونشيطا، وفي مقابل ذلك نجد الأمير الأوروبي أعلى رتبة من الشعب، فيرى نفسه الفارس المغوار الذي يفتخر بذاته، حيث يخال نفسه أنه الأمير الذي لا يهزم، ولا توجد أي سلطة تطويه في هذا العالم، فالنظام السياسي الأوروبي يعلي من قيمة طبقة النبلاء وهي الطبقة الحاكمة ويحط من قيمة الشعب الذين هم من فئة العامة، فالنظام الطبقي جعل المواطن اليهودي يفكر بالوصول إلى هدف معين يتيح له "بلوغ ما يجول في خاطره من فكرة أساسية هي رفع مستواه بأن تسوى هذه التراتبية أرضا ليتاح له بلوغ القمة في المجتمع الغربي، إذ رغم حاجز الأمير ومقامه السامي الذي لا يغريه المال يمكن من ثغرة في هذه الحصانة أن تجوس الجذور"[1]. يتضح من خلال هذا القول أن اليهودي سعى للقضاء على التراتبية الأوروبية التي كانت عائقا أمام رفع مستواه ومساعيه الرامية للتقدم، فحاول جاهدا أن يحد من تجبر هذا النظام، فهو يريد إسقاطه ليحصل على مكانة عالية تمكنه من الارتقاء إلى قمة الهرم الأوروبي، وأكثر شيء خطط له المواطن اليهودي هو إيجاد ثغرات سياسية لدى السلطة الحاكمة، والتي من شأنها أن تسقط وتطيح بهذا النظام المستبد وبالتالي سينتَزَع الحكم من الأمراء ويتخلص الشعب من الاسترقاق والاستعباد الذي يعاني منه بسبب هذا النظام الطبقي.

ومع مرور الوقت زال النظام التراتبي بأوروبا وزالت معه العبودية التي عانى منها المواطنون، فقد تمكن الشعب من تحرير نفسه عن طريق هدمه للنظام الطبقي بفضل غارات الفرنك والنورمان التي أحدثها ضد السلطة المطلقة، وفي هذا المقام يرى مالك بن نبي أن اليهودي الذي خرج من الجيتو أصبح له مقام في إنجلترا، فقد تمكن من افتكاك مكانة

1 – المرجع نفسه، ص 68.

مرموقة ومهمة في المجتمع الأوروبي، على الرغم من القواعد السياسية التي ظلمته ولم تخدم مصالحه كمواطن أوروبي، وهذا ما دفع به إلى ضرورة إحداث ثورة على هذا الوضع الذي لا يطاق، فراح يتمرد على السلطة التي "قد تركت اليهودي أن يضع فيها خلاصة عبقريته التي تبدت في ثورة (كروميل) التي كانت الزاوية التي جمدت المجتمع البريطاني كتلة واحدة على سواء، وعبر هذه الكتلة... عرفت كلمة الديمقراطية، ولم تكن بعد قد لفظت كمفهوم تعبر عنه الكلمة"[1]. ويتضح من خلال ما ذكر أن اليهودي في بريطانيا خلص نفسه من حكم الملك الذي أخضع المواطنين الإنجليز للاسترقاق، وقد ترتب عن هذا قيام الشعب بثورة (كروميل) والتي شارك فيها اليهود أيضا، وقد كانت نتائج هذه الانتفاضة الثورية إعدام الملك وكذا تخلص الإنجليز من نظام الحكم الملكي ليتم استبداله بالنظام الجمهوري، وبهذا تمكن اليهود من الحصول على حق الإدلاء بأصواتهم والإفصاح عن آرائهم و خواطرهم التي تختلجهم، فهذه المعركة جعلت المجتمع البريطاني في ميزان واحد، فلا وجود للأمراء والملوك فالجميع متساوون بزوال القيود السياسية التي فرضت على المواطنين، ومن هنا ظهرت كلمة الديمقراطية، عندما تم توحيد المجتمع على الرغم من أن هذه اللفظة (ديمقراطية) لم تكن طبقت بعد بالمفهوم الذي تشير إليه.

رسم المواطن اليهودي تمثلات في أوروبا من خلال الثورات التي أحدثها فلا يمكن للأحزاب السياسية الأوروبية طرد اليهود من أوروبا، وذلك لأن اليهود كانوا يتمتعون بإيديولوجيات عبقرية كما أنهم امتلكوا الوسائل المادية التي ساعدتهم على التخطيط الجيد للقيام بالثورة، حيث خرج اليهودي بفرنسا عن صمته بعد قيامه بثورة 1789 التي صنعها اليهود وخططوا لها ليتخلصوا خلالها من التراتبية الأوروبية والتي أعادوا عبرها حق المواطن والمواطنة، كما منحت لهم حقوق متساوية مع بقية الفرنسيين، فقد شارك اليهودي بالثورة الفرنسية التي كانت شرارتها الأولى هدم سجن الباستيل بفرنسا وبالتحديد في عام 1789،

1 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 69.

حيث اقتحم الفرنسيون هذا السجن الذي يرمز للسلطة الجائرة حيث كان أسراه يسجنون عدوانا وظلما، لكن قوة المواطنين المناضلين هدمت هذا الصرح وأطلقت صراح السجناء، وهنا يقول مالك بن نبي إن "الذي أخذ القرار بهدم الباستيل... هو كل من أراد أن يعبر عن أفكاره الخاصة ومواقفه عدا الذي جاء من اليهود فقوة هذا الأخير على وجه الدقة هي التي صنعت الثورة من دون الثوريين الذين يعرفون أن أي قوة في الظلام دفعتهم، وكان هذا هو المعول الأخير في هدم هذا الباستيل"[1]. ويتبين من خلال قوله أن المحرضين الأساسيين لهدم جدران الباستيل بفرنسا هم اليهود الذين سعوا لفرض وجودهم، وبهذا يعد هذا الفعل من أحد أبرز أحداث الثورة الفرنسية، فقوة الثائر اليهودي وجهت الفرنسيين لاتباعه من أجل القيام بالثورة ضد طبيعة الحكم المستبدة، فقرروا أن يتمردوا تحقيقا لمطالبهم التي تحققت بخروج التصريح السياسي الذي خدم مصالحهم، "فإعلان حقوق الإنسان والمواطن كان لازما في إطار خطة عمل اليهودي في العالم وهو الأكثر أهمية، إذا ما اعتبر في فرنسا في مستوى القانون كي يعمل في ظله"[2]، فبهذا الإعلان تم استرجاع حق المواطن اليهودي وأصبح بإمكانه العيش بشرف فوق أرض أوروبا بعد أن كان يعاني الويلات والاضطهاد في الجيتو، وصارت له الحرية المطلقة فقد أخذ حق المواطنة بعد عدة حروب، "والتي كانت من إفرازاتها المناداة بتحرير اليهود واندماجهم في المجتمع ومنحهم كافة الحقوق السياسية والمدنية"[3]، فهو الآن أضحى يعمل في إطار المجتمع بعد تطبيق هذا القانون الذي يحفظ حقوق الإنسان والمواطن.

"من خلال هذه الصفة (المواطن) كان اليهودي قد أخذ من سائر أوروبا بعض لون الأرض التي يعيش فيها، ولن يسمى أحد بعد ذلك باسم دافيد، إسحاق، إسرائيل، بل دزرائيل

1 – المرجع نفسه، ص 70.

2 – المرجع نفسه، ص 71.

3 – محمد الوكيل: تاريخ اليهود في دول غرب أوروبا، دار النهضة العربية، مصر، 2010، ص 2.

أو أبنهايمر أو فرنسيس دكرواسي"[1]، فهو الآن قادر على تغيير اسمه إلى أسماء مسيحية معروفة ويتخلى عن الأسماء التي كانت تطلق عليه، فاليهودي نال حقه بعد أن أصبح مواطنا كباقي الأوروبيين، وتخلص من المسميات التي أطلقت عليه.

وخلاصة القول إن اليهودي نجح بالاندماج داخل المجتمع الغربي، و بات يتمتع بحق المواطنة بعد حصوله على هذه التأشيرة التي جعلت من اليهود مرحبا بهم في الغرب و أيضا أضحوا جزءا لا يتجزأ من أوروبا.

ب – اليهودي الحديث:

تخلى المواطن اليهودي عن ملامحه التقليدية التي ورثها عن أجداده، فقد حرر نفسه من لباس اليهود التقليدي ونزع لحيته، وكل ما يشير إليه كيهودي وبهذا أطلق عليه لفظ اليهودي الحديث والتي يقابلها في اللغة الإنجليزية لفظ مودرن (Modern).

يعتقد مالك بن نبي بأن "كلمة حديث بالنسبة لليهودي لا معنى لها، لأن اليهودي كالأشياء الثابتة مع الزمن لا عمر لها لأنها لا تتغير أبدا"[2]، يعكس هذا القول نظرة الكاتب تجاه اليهودي، فهو يرى أن صورة اليهودي لم تتأثر بالحداثة، فقد بقيت أفكاره على حالها رغم مرور الزمن، وبقي محافظا على فكرة فرض نفوذه على العالم بواسطة الأموال.

سعى اليهودي الحديث للتخلص من الصورة النمطية التي كان عليها سابقا، والتي سببت له عقدة نقص، فالمجتمع الأوروبي كان يضعه في الطبقة الدنيا، لكنه تخلص من هذه العقدة ورسم لنفسه طريق الانتصار بإزاحته للصعوبات التي واجهته من قبل الحضارة الغربية، واجتاز العوائق النفسية والمادية التي عانى منها أجداده من اليهود فقد صنع لنفسه أهدافا ومقاصد يريد تحقيقها، حيث غيَّرَ اليهودي من أفكاره القديمة التي تتمثل في طموحه بأن يكون مجرد عامل بسيط يبحث عن قوته اليومي ليتم استبدال هذه العقلية بطموحات وبرامج وأهداف بعيدة المدى، أراد الوصول إليها وهذا في إطار الحداثة التي يعيشها العالم

1 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 71.

2 – نفسه.

اليوم، فقد تحولت مساعيه مع حلول عصر الآلة فهو لا يريد أن يطلق عليه لفظ عامل بل يتطلع إلى بلوغ أعلى الدرجات في مجال التجارة، التي يعتبرها الآن حيزه الجديد الذي سيطلق فيه العنان لذاته من أجل أن يصبح رب العمل الذي يستأجر العمال والمهندسين لخدمته.

ففي هذا الزمن الحاضر سنجد "اليهودي يختار لنفسه في النهاية رأس الهرم، فهو المعلم... صاحب العمل أولا، ويمكن أن يكون هو نفسه مهندسا أو مؤهلا ذا كفاءة ويعرف مادَّته، لكن سرعان ما يجد نفسه مدفوعا من القوى كافة، ليقود مسيرة عنصره نحو أوروبا، ليكون فيها صاحب العمل أو رئيس عمال يستأجر الأيدي والكفاءات لدى الأوروبيين من حوله ليقودهم"[1]. يتضح من هذا القول أن اليهودي الحديث يعتبر نفسه أنه الرئيس وصاحب الشغل الذي يقف في قمة الهرم، وبهذا يعلو شأنه ويزداد نفوذه داخل القارة الأوروبية التي اضطهدته في وقت سابق، لكن هذا الوضع لم يدم طويلا بعد أن تغير حال اليهودي الحديث أو "المودرن" كما أطلق عليه مالك بن نبي، حيث صار هو الرجل الأول في التجارة بالعالم، وتحول اليهود بهذا إلى رجال صناعة وأرباب أعمال يتحكمون في العلاقات التجارية العالمية.

أشار الكاتب إلى أن "صاحب العمل اليهودي... وراءه سائر البنوك التي أنشأها أجداده في كل مكان، وهي دائما خلفه تقدمه، فلديه أبناء هم المؤسسون سواء كانوا في باريس أو لندن، وآخرون في برلين ومن ثم آخرون في نيويورك"[2]. يتجلى من قوله أن أوروبا المتحضرة أضحت تسير شؤونها من قبل نبلاء اليهود، فقد أحكموا قبضتهم على البنوك العالمية وأصبحوا أرباب أعمال لا مضاهاة لهم، حيث توزعوا على مدن العالم كباريس بفرنسا ولندن ببريطانيا ومدينة برلين بألمانيا ومدينة نيويورك بالولايات المتحدة

1 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 72.

2 – المرجع نفسه، ص 72–73.

الأمريكية فشملت أعمالهم أرجاء هذه المعمورة، كما ذكر أسماء يهودية نجحت في عالم المال والأعمال والتي نجد من بينها اسم اليهودي الفرنسي روتشيلد وهو صاحب إمبراطورية اقتصادية بفرنسا، وروكفلر الذي سيطر على تكرير النفط في الولايات المتحدة الأمريكية، ومورجان اليهودي الأمريكي الذي امتلك عدة مؤسسات مالية ومصرفية في مختلف أنحاء العالم، ولقد فرض هؤلاء اليهود من رجال الأعمال هيمنتهم على الاقتصاد العالمي، ويظهر هذا من خلال ذكرنا سابقا لأسماء يهودية نجحت في عالم المال.

تحدث مالك بن نبي عن أصحاب العمل من اليهود حيث صور لنا التسلط الذي وصلوا إليه بأوروبا، حيث يقول: "ففي فرنسا مثلاً القطاع المالي هو لبنك هولندا، وهذا يعني روتشيلد أما قطاع المواد الأولية، وهو يشمل المناجم والنقل فنراه تحت إشراف شنيدر، أما قطاع الإنتاج الاستعماري بما فيه البترول والكوتشوك*، كذلك من القمح إلى الموز... فإنهم جميعهم مرتهنون لشركة رينو المنتج الأكبر للسيارات، حتى بدت في ذلك كله رب العمل لها جميعاً. فأوروبا أضحى تنظيمها الإداري تحت إشراف يهودي"(1). يتبين من خلال هذا القول أن اليهود سيطروا على كل القطاعات الحيوية الاقتصادية بأوروبا فقد تسببوا في إفلاس عدة شركات أوروبية كشركة فورد التي أعلنت عن خسارتها وإفلاسها جراء تغلب مجموعة رينو لإنتاج السيارات عليها، وفي بريطانيا أضحت أكبر المؤسسات المالية تحت قيادة اليهود، الذين هم اليوم مدراء أعمال فلا يمكن لأي أحد الوقوف أمامهم من أجل منافستهم.

تحول وتغير حال اليهودي من مجرد فرد أقام بالجيتو وانتظر الصفح والعفو والمغفرة من قبل الأوروبيين، ليصير مواطنا بالقارة الأوروبية لكن حق المواطنة لم يكن يشفي غليله ولم يكفيه، فهو يتطلع للأفضل دائما ولنيل الجدارة والاستحقاق داخل المجتمع الأوروبي، فعمل على نفسه وطورها حتى "أضحى اليهودي في النهاية المعلم...، أي رب العمل الذي

---

* الكوتشوك: مادة صفراء تستخرج من نبات شجرة المطاط تعالج وتشكل لتصير مادة تصنع منها لإطارات والأحزمة وخيوط الكهرباء.

1 – المرجع نفسه، ص 74.

يعمل خلف قناع النظام الاجتماعي الأوروبي الذي خبره في العمق حتى أخره ليحتفظ بتراتبيته هذه. وفي الوصول إلى هذا المقام يكون اليهودي قد أضحى في عمق النظام الاجتماعي الأوروبي وقلب كل تراتبية فيه"[1]. يتضح من خلال هذا القول أن اليهودي الحديث هو سيد أعمال فرض ذاته تحت قناع النظام الطبقي الاجتماعي فطموحه السابق هو الحصول على مكانة في التراتبية الأوروبية، لكن بمجرد أن أصبح رجل صناعة وأعمال بالمجتمع الغربي غير التراتبية الأوروبية بفضل المكانة التي وصل إليها فهو الآن يعد من الأثرياء الذين يقبعون على عرش النظام الاجتماعي بأوروبا، فقد شهدت هذه المرحلة تغيير صورة اليهودي من مجرد مواطن إلى رب عمل ورجل صناعة.

يعتقد مالك بن نبي أن اليهود صاروا رجال أعمال والمسيح يشتغلون كعمال عندهم، حيث كون اليهودي رؤوس أموال معظم الأعمال وصار مديرا ورئيسا ومن أكبر المخططين، للتنظيم الإداري بأوروبا وكل الأمور السياسية والإدارية تسير تحت إشرافه.

وفي ذلك الوقت الراهن حظي اليهودي الحديث باستقبال الأبطال من طرف العائلة الملكية ببريطانيا، ويتم تكليفه بإدارة أعمالها وتسييرها، وتسند إليه المهام على مستوى نطاق الإمبراطورية البريطانية، فجده اليهودي كان مجرد شبه مواطن يبحث عن المساواة والديمقراطية بالقارة الأوروبية، لكن حاليا اليهودي الذي وصل إلى مرحلة الثراء يطمح إلى أن يكون في قمة التراتبية بالمجتمع الأوروبي، وأصبح الشغل الشاغل له هو تهويد الديمقراطية لتتحقق له المساواة مع الأوروبيين من حيث طريقة التعامل مع أفكاره، فالمعالم الفكرية لليهودي تمثلت في صنع عالم خاص به، يعمل أفراده بجد ودون كلل خدمة لمصالحه ومخططاته، فهو اليوم ينظر إلى أوروبا على أنها هي التي تقوم بالعمل، ولم تعد ذلك المسير للشأن الاقتصادي.

بانت أوروبا تشتمل على نموذجين من الرجال فالأول رجل يحمل في يده منشفة

1 – المرجع نفسه، ص 74.

ويضع ملفات فوق سطح مكتبه، أما الرجل الآخر فهو ذلك الذي يضع حقيبته في يده بالإضافة إلى زوادة يحمل فيها طعامه، فهو ذلك الذي يضع في يده حقيبته بالإضافة إلى زوادته التي يحمل فيها الطعام، وهو ذاهب إلى عمله في وقت مبكر، قال مالك بن نبي عن هذين النوعين بأن: "الأول مدير أعمال – موظف – نائب في المجلس... والثاني عامل يعمل لحساب سواه، يستيقظ كل يوم مسرعًا إلى عمله وبيده زوادته"[1]، انجلى من خلال قوله البصمة الكبيرة التي وضعها اليهود، حيث غَدوا مدراء أعمال ورؤساء ونوابا بالسياسة وموظفين يتحكمون في غيرهم من العمال فصورهم على أنهم أصحاب الملفات الكبرى، الذين يسيطرون على تنمية واقتصاد أوروبا وهذا دليل على تحكمهم بالحياة الفكرية والمادية، وأما الفئة الثانية ضمت العمال البسطاء من المسيح، الذين يشقون من أجل قوت يومهم ليسدوا جوعهم، فهم يعملون لصالح غيرهم من مدراء اليهود، فالعامل يهم بالنهوض كل يوم وهو مسرع لكي لا يصل متأخرا إلى عمله.

وخلاصة القول إن اليهودي الحديث جسد صورة قوية لليهود، بتوجيه الغرب لخدمة أفكاره، فهو الآن المنظم الفعلي والموجه لأوروبا، وأضحت الحضارة الغربية تحت رحمته، فهو يتحكم بشتى ميادين الحياة، كما أن الفرد الأوروبي صار يعمل لديه ويتلقى الأوامر منه ويفكر مثل اليهود، وبهذا صار اليهودي قوة ضاربة لا تهزم، فقد سخر أوروبا لمنافعه ومقاصده واستطاع التربع على رأس تراتبيتها بواسطة نشاطاته في عالم المال والأعمال.

ج – اليهودي العالمي:

استلم اليهود شعلة الحضارة من أوروبا، فهم الذين قادوا الغرب إلى القيام ببناء الإمبراطوريات الاستعمارية، حيث يرى مالك بن نبي أن هولندا من أشهر البلاد الأوروبية التي عمر فيها اليهود وساهموا في قيام إمبراطوريتها، فقد حظي اليهود باهتمام كبير من طرف حكومة هولندا في العصور الماضية، ومن بين الأدلة التي تشير إلى ذلك نجد نشر

1 – المرجع السابق، ص 75.

الكنيس العالمي الهولندي بيانا في حق اليهود أدهش من خلاله الشعب الهولندي عندما قرأ الصحيفة اليومية التابعة للحكم الهولندي، إذ جاء هذا البيان بمثابة تذكير إلى جل الهولنديين بأنه "يرجى من الشعب الهولندي ألاَّ ينسى أن اليهود هم الذين أقاموا إمبراطورية هولندا الاستعمارية، فأصبحت الإمبراطورية هي الأغنى، فقد كانت إمبراطورية الاستعمار هذه تحت سلطتها مساحة خزان 70 مليون مسلم أو أكثر، مع وفرة في المواد الأولية تذهب جميعها لتطعم 6 ملايين هولندي"[1]. يوضح لنا هذا القول ملامح البيان الهولندي تجاه اليهودي فهو يذكر مواطني هذه البلاد الهولندية بفضل اليهود الذين أسسوا إمبراطورياتها، التي بسطوا من خلالها أيديهم على ممتلكات المسلمين الذين تجاوزوا السبعين مليون مسلما، فاليهود هم المساهم الأكبر في ثراء هولندا عن طريق نهبهم وسيطرتهم على ثروات الأمة المسلمة التي استعمروها واغتصبوا ثرواتها منها، كما نهبوا موادها الخام، وكل هذه الأفعال التي اقترفوها خدمة لسياستهم الاستعمارية التي أشبعوا من خلالها بطون الهولنديين الجوعى، الذين خرجوا من دائرة الفقر إلى الثراء الفاحش بسبب الحملات الاستعمارية التي شنها يهود هولندا على العالم.

اليهودي العالمي هو من أعلن عن قيام العصر الاستعماري، فهو رائد الحركات الاستعمارية الغربية، فالبيان أوضح أن اليهود هم الحافز والداعم وراء قيام دولة هولندا، فعبقرية اليهودي وحنكته جعلت المجتمعات الأوروبية تحت قيادة الطائفة اليهودية، حيث اندهش المؤرخون من هذا البيان الذي أرسل إلى أبناء الشعب، فالمؤرخ موراس (Maurras) اكتشف بأن "النداء كان يهدف بصورة مؤكدة أن يعمد اليهود لإعطاء الحياة الأوروبية بأكملها صبغة أفكارهم ومؤسساتهم، ومن ثم فهم لا يستطيعون أن يجعلوا عملهم وكأنما هم غرباء عن الظاهرة الأساسية لتاريخ أوروبا الاستعماري"[2]. يبرز قوله هذا الدور الفعال الذي لعبه اليهود في بناء المستعمرات حيث يرى الكاتب بأن النداء الهولندي ثمَّنَ عمل اليهود

1 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ج2، ص 79.

2 – المرجع نفسه، ص 81.

الاستيطاني كما أن فعلهم هذا قضية خصت شعب هولندا، كما أن أوروبا أصبحت تحت سيطرت الفكر اليهودي الذي رسخ السياسة الاستيطانية في العقلية الأوروبية، ومؤسساتها التي أصبحت تسير من طرف اليهود، فالأوروبي الآن لا يستطيع إنكار أعمالهم، فهم المؤسس الفعلي لفكرة الاحتلال بأوروبا والتاريخ شاهد على ذلك، فهم جزء لا يتجزأ من الإمبراطوريات الأوروبية.

عمد اليهودي العالمي إلى رسم صورة له في التاريخ الأوروبي ليس عن طريق الاستعمار فقط بل تعداه إلى أمور أخرى كالأعمال الاقتصادية، فهم من ابتكر وطور النظام الرأسمالي في هذا العصر الحديث، حيث يقر مالك بن نبي بأن "الرأسمال هو بكل حال التعبير المادي الملموس لسيطرة اليهود على العالم، وإذا نحن تحدثنا عن رأس المال كإدارة وتفكير فإننا نتحدث عن روح في وحدة أدائه"[1]. يتبين من هذا القول أن الرأسمالية اليهودية استولت على العالم بفضل الروح التي تحملها في داخلها، حيث يرجح الكاتب أن السر وراء نجاح رؤوس أموال اليهود راجع إلى وحدة أداء الفرد، فهذا النظام الاقتصادي يقف على مدى نجاعة قدرات وأفكار الذين يمارسونه، والهدف من ورائه هو السيطرة على المعمورة وعلى اقتصادها بأكمله.

يتجلى من خلال النداء العالمي الذي وجه للشعب الهولندي "المرامي البعيدة لهذا البيان تكشف... حقيقة دورها، بمعنى أن الاستعمار كالرأسمالية هما بعض النشاط العالمي لليهود، وهنا فاليهودي يتموضع في الخطة نفسها وليس في زاوية خاصة من تاريخه في أوروبا، لأنه هو تاريخها الأصيل"[2]. فهذا البيان ما هو إلا دليل على تجذر اليهود في المجتمع الأوروبي، والهدف من وراء إصداره هو إبراز المكان المرموقة التي وصل إليها اليهودي بانتقاله من مرحلة اليهودي المشتت الذي يقف على الهامش إلى مرحلة اليهودي العالمي، ولم يأتي هذا عبثا فنشاطاته وإنجازاته التي قام بها جعلته جزء من تاريخ أوروبا،

1 – المرجع نفسه، ص 71.

2 – المرجع نفسه، ص 72.

فقد جاء بابتكار فكرة الاستعمار ليفرض هيمنته على العالم، كما أنه أتى بالرأسمالية التي عبدت الطريق لليهود من أجل السيطرة على الاقتصاد العالمي.

مثلت أوروبا لليهود الأرض الموعودة فاتخذوها وجهتهم، فهي الخيار الذي يسمح لهم بتحقيق أمانيهم وطموحاتهم، لذا "ترى اليهودي يبتكر وسيلة جديدة للبلوريتاريا* هي تحريك كل حملة الزوادة أي (العمال الذين يحملون زواداتهم للعمل يوميا) ضد طبقة المديرين أي حملة حقائب الملفات"[1]. يشير هذا القول إلى الصراع الفرنسي الذي حصل بين طبقة المديرين، ولقد انتهى هذا التصادم بين الطبقتين بفوز حملة الملفات، والذين كانوا في معظمهم من اليهود الذين سعوا إلى قلب المواقع في أوروبا، فهم أرادوا اعتلاء القمة الأوروبية، منذ مرحلة التيه والشتات إلى مرحلة اليهودي العالمي، وخططهم تتلخص في التحكم بزمام الأمور ومن ثم إحكام قبضتهم على الشؤون العالمية، رسم الكاتب صورة عن بدايات التشتت وتفرق الشعب اليهودي، كما رأى أن اليهودي العالمي هو من يؤرخ لهذا العصر، ولقد درست الشعوب الآسيوية حقيقة اليهود وزرعت في نفسيتهم الخوف بشكل وراثي انتقل من الأجداد الأوائل إلى الأبناء، فاليهود يعلمون مدى كره وحقد الآسيويين عليهم، وهذه الترسبات التاريخية لم تتغير مع مرور الزمن، فلا زالت هذه الكراهية اليهودية قائمة في القرن العشرين من قبل الشرق، حيث نجد الصحافة والإعلام اليهودي في هذا القرن يحذر من شعار الخطر الآسيوي على اليهود.

بحثت أوروبا عن الطرق التي تجعلها فالريادة، فخططت ودبرت إلى أن توصلت لفكرة خدمت منافعها وأهدافها وتمثلت في "فصل أوروبا عن باقي المرتزقة الذين هم من بقايا الإنسانية"[2]. من خلال قوله يتبين أن أوروبا هي من خلقت فكرة العنصرية الأوروبية، فمستعمراتها لا تخلو من مفهوم العنصرية، وقد أدى هذا السلوك اللاأخلاقي إلى وقوع عدة

---

* البلوريتاريا: يقصد بها الطبقة العاملة وقد ظهر هذا المصطلح في القرن التاسع عشر مع كارل ماركس.

1 – المرجع نفسه، ص 72.

2 – مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 83-84.

حروب في أوروبا وحتى في المنطقة الإسلامية بآسيا، كما أن ثقافة الغرب كرست السياسة العنصرية، وتباهت بأسطورة الجنس الأبيض الأوروبي، ولقد تحولت العنصرية التي مارستها ضد الشعوب إلى حروب استعمارية، فثقافتهم هاته جعلت أوروبا منقسمة ومتفردة بذاتها عن بقية البشر، "فالعالم أصبح اليوم منقسما بصورة نهائية إلى طبقات ثلاث: اليهود الذين يحكمون أوروبا، والأوروبيون الذين يستعمرون من أجل اليهود، والأهليون... الذين أصبحوا مستعمرين"[1].

وخلاصة القول إن اليهودي العالمي بات هو المعلم بأوروبا بفضل إسهاماته ودوره في استلام شعلة الحضارة، وله الفضل الكبير في تأسيس الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية ولا يمكن بدونه تصور النجاحات التي حققها الغرب خارج نطاق حدوده الجغرافية، وأيضا له إنجازاته على مستوى رأس المال، فاليهودي اخترق العالم الغربي، وفرض عليه هيمنته، كما أنه استلم قيادة الحضارة من أوروبا في شتى الميادين وبهذا أصبح ذلك اليهودي الذي لا يهزم، فهو العقل المدبر والمرجع الأول في أوروبا.

***

1 - المرجع نفسه، ص 84.

خاتمة

خاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث الذي كان موضوعه صورة اليهودي في كتاب "وجهة العالم الإسلامي" لمالك بن نبي، توصلنا من خلاله إلى مجموعة من النتائج:

– يعد تصوير الآخر في الأدب من أهم الدراسات المقارنة. وعلم الصورة يدرس الآخر ويبين ملامحه وأهم ما يميزه عن الأنا.

– يمر رسم صورة الآخر عن طريق عدة وسائط من بينها: أدب الرحلات الذي يقص من خلاله الرحالة ما رآه، وأيضا علم الاستشراق الذي عكس صوره الأنا لدى الآخر، وكذا علم الترجمة الذي ساهم في التلاقح الفكري بين الأمم.

– كشفت صورة اليهودي في كتاب "وجهة العالم الإسلامي" لمالك بن نبي، عن شخصية الآخر اليهودي التي اتسم بها. لقد عرض لنا المؤلف مساوئ وسلبيات اليهودي. كما تمكن من إظهار الصورة التي كان عليها اليهود منذ مرحلة الشتات مرورا بمرحلة تفوّقهم واعتلائهم للصدارة في شتى الميادين. وأما التصنيفات التي قدمها الكاتب فقد مثلت الحلقة التطورية التي مر بها اليهود في أوروبا.

– كشف الكاتب عن المسار التاريخي الذي عاشه اليهود، كما ذكر لنا استراتيجياتهم التي اتخذوها بغية السيطرة على أوروبا.

– سعى اليهودي لفرض ذاته وبسط نفوذه على الأوروبيين، وتحول من مجرد فرد يبحث على الاستقرار والاندماج إلى يهودي عالمي لا زالت حتى اليوم صورته قائمة في العالم.

– كتاب "وجهة العالم الإسلامي" قدم لنا صورا واقعية عن اليهودي الذي هيمن على أوروبا بواسطة أفكاره التي تجسدت في: الاستعمار، الديمقراطية، الرأسمالية، وحقوق الإنسان.

– كانت نظرة مالك بن نبي إلى صورة اليهودي سلبية لأنهم أخفوا حقيقتهم ونواياهم الخبيثة عن الناس ولأنهم أرادوا السيطرة على العالم.

***

الملحق

1 - نبذة عن مالك بن نبي:

مالك بن نبي مفكر جزائري ولد ي يوم1 يناير 1905 في مدينة قسنطينة وتوفي يوم 13 أكتوبر 1973 بالجزائر العاصمة، "أحدث نقلة نوعية في الفكر الإسلامي الحديث وأسس مفاهيم ومصطلحات فكرية وفلسفية غير مسبوقة، لقب بألقاب عديدة منها فيلسوف العصر وفقيه الحضارة ومنظر النهضة الإسلامية"(1).

عمل كمهندس وكتب وفيلسوف، قام بعدة جهود ساهمت في بناء الفكر الإسلامي الحديث، كما أنه درس المشاكل التي تعلق بالحضارة في مواضيعه ومحاضراتها لتي قدمها، ويعد من الباحثين الذين قدموا كتبا ثمينة عن أحوال المسلمين وكل ما يتعلق بهم، كما قدم نظريات فكرية سعى من خلالها إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية داخل الأمة العربية.

2 - مؤلفات مالك بن نبي:

ألف مالك بن نبي سلسلة كتب تحت مسمى "مشكلات الحضارة"، بدأ كتابتها في فرنسا ثم مصر وبعدها بلده الجزائر وهي تتمثل في:

- الظاهرة القرآنية 1946.
- شروط النهضة 1948.
- وجهة العالم الإسلامي 1952.
- الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956.
- النجدة... الشعب الجزائري يباد 1957.

فكرة كومنولث إسلامي 1958.

- مشكلة الثقافة 1959.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة 1959.
- حديث في البناء الجديد 1960.

---

1 - خرخاش صلاح وجعفر سناء: أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة تبسة، الجزائر، 2021-2022، ص 40.

- تأملات 1961.
- في مهب المعركة 1962.
- آفاق جزائرية 1964.
- القضايا الكبرى.
- مذكرات شاهد للقرن– الطفل 1965.
- إنتاج المستشرقين 1968.
- الإسلام والديمقراطية 1968.
- مذكرات شاهد للقرن – الطالب 1970.
- معنى الرحلة 1970.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1970.
- بين الرشاد والتيه 1972.
- المسلم في عالم الاقتصاد 1972.

***

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

* – القرآن الكريم.

أولا – المصادر والمراجع:

1 – الأسدي، سعد قاسم: رواية نيران، مكتبة عدنان، ط1، العراق، 2014.

2 – البازعي، سعد: المكون اليهودي، في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2007.

3 – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب نوادر البخلاء واحتجاج الأشخاء، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، السعودية، 1998.

4 – الشعار، فواز: الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إيميل يعقوب، دار الجيل، ط1، بيروت، 1999.

5 – الطهطاوي، رافع رفاعة: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، مصر، 2012.

6 – العريان، الشيخ عبد المنعم: رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، ط1، لبنان، 1997.

7 – العساسفة، المثنى مد الله سليمان: اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب، دراسة مقارنة في مختارات من الرواية العربية والهندية، دار جليس الزمان، الأردن، 2009.

8 – الغمري، مكارم: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة، ط1، الكويت، 1970.

9 – القاسم، سميح: شعر الأعمال الكاملة، دار الجيل، ط1، بيروت، 1996.

10 – الكردي، علي إبراهيم: أدب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، سوريا، 2013.

11 – الوكيل، محمد: تاريخ اليهود في دول غرب أوروبا، دار النهضة العربية، مصر، 2010.

12 – بكار، يوسف وخليل الشيخ: الأدب المقارن، جامعة القدس المفتوحة، ط1،

الأردن، 1996.

13 – بن نبي، مالك: وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، ط1، سوريا، 2012.

14 – تشرشل، شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الجزائر، 2004.

15 – تولستوي، ليو: حكم النبي محمد، ترجمة سليم قبعين، الدار المصرية، ط2، مصر، 2015.

16 – حافظ، علي: أشعار روسية عن الثورة الجزائرية والجزائر، الرمل والثلج، دار هومة، الجزائر، 2012.

17 – حمود، ماجدة: صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان، 2010.

18 – حمود، ماجدة: مقاربة تطبيقية في الأدب المقارن، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

19 – حنبكة، عبد الرحمن: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير الاستشراق والاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، ط8، سوريا، 2008.

20 – دودين، ماجد سليمان: دليل المترجم الأردني، مكتبة المجمع العربي، ط1، الأردن، 2009.

21 – سعفان، كامل: اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان، دار الفضيلة، مصر، 1900.

22 – سعيد، إدوارد: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد العنابي، دار رؤية، ط1، مصر، 2006.

23 – عثمان، عفيف: المغرب بعيون إسلامية، الكتاب الخامس، لبنان، 1998–1999.

24 – علوش، سعيد: مدراس الأدب المقارن، دراسة منهجية، المركز الثقافي، ط1، مصر، 1987.

25 – علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، لبنان، 1985.

26 – عميش، عبد القادر: الخطاب من فعل التثبيت وآليات القراءة مركزية البنية وإمبريالية الدلالة، دار الأمل، الجزائر، 2012.

27 – فوزي، حسين: سندباد إلى الغرب، دار المعارف، ط3، مصر، 1983.

28 – كامو، ألبير: الطاعون، ترجمة سهيل إدريس، دار الآداب، ط1، بيروت، 1981.

29 – كواتي، مسعود: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، ط2، الجزائر، 2009.

30 – مجهول: ألف ليلة وليلة، دار صادر، ط2، بيروت، 2008.

31 – ندا، طه: الأدب المقارن، دار النهضة العربية، ط1، لبنان، 1991.

32 – هلال، محمد غنيمي: الأدب المقارن، دار العودة، ط1، لبنان، 1983.

33 – هنري باجو، دانيل: الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، 1997.

34 – وزان، عدنان محمد: الاستشراق والمستشرقون، رابطة العالم الإسلامي، السعودية، 1974.

35 – وهبي، مجدي وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984.

ثانيا – المجلات:

1 – مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، العدد 24، 2016.

2 – مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، جامعة آزاد الإسلامية، إيران، العدد 26، 2018.

3 – مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة المجلد 8، العدد 16، 2016.

4 – مجلة التواصل، العدد 1، جامعة باجي المختار، عنابة، مارس 2020، المجلد 26.

5 – مجلة الصورة والاتصال، ع1–2، جامعة وهران، الجزائر 2012.

6 – مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد 20، 2013.

7 – مجلة جامعة شندي، العدد 1، السودان، 2008.

8 – مجلة حوليات التراث، العدد 3، جامعة مستغانم، الجزائر، .2005

9 – مجلة حوليات التراث، العدد 5، جامعة مستغانم، الجزائر، 2006.

10 – مجلة سلسلة شرفات، العدد 43، المغرب، 2014.

11 – مجلة علامات في النقد، العدد 51، 2004.

12 – مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالى، العراق، العدد 55، 2012.

ثالثا – الرسائل الجامعية:

1 – بن سايح، هجيرة: صورة الحضارة الأندلسية في الأدب العربي الحديث، إسبانيا عند أحمد شوقي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، جامعة مستغانم، الجزائر، 2016–2017.

2 – خرخاش، صلاح وجعفر سناء، أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة تبسة، الجزائر، 2021–2022.

3 – زوزو، ناريمان: صورة الآخر في مسرحية هيستيريا الدم لعز الدين جلاوجي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة ورقلة، الجزائر، 2016–2017.

4 – صالح، أسماء يوسف ديان: الصورولوجيا في الرواية مقارنة بين روايات عربية وأمريكية مختارة، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق، 2014.

رابعا – المواقع الإلكترونية:

1 – أوغستر، دافيد: أوروبا المسيحية خلقت كراهية اليهود في العصور الوسطى،

موقع: https:// swissinfo.ch

2 – عارف، محمد: عودة الشتات اليهودي إلى الشتات، 13 أغسطس 2014،

موقع: https://aletihad.ae

3 – مشيش، عامر: شوقي في منفاه، المكتبة الشاملة الحديثة، بتاريخ 18-04-2008،

موقع: https://al-maktaba.org

خامسا – المراجع الأجنبية:

1 - Lewis, Bernard : L'Islam en crise, Editions Gallimard, Paris, 2003.

2 - Montandon, Alain : Les caractères nationaux, la littérature française, problème de méthode, Université Blaise Pascal, 2001.

3 - Nadeau, Maurice : Le roman français depuis la guerre, Editions Gallimard, Coll. Idées, NRE, Paris, 1970.

***

فهرس المحتويات

الفهرس

***

الملخصات

ملخص باللغة العربية:

قدم لنا كتاب وجهة العالم الإسلامي لمؤلفه مالك بن نبي أصناف اليهودي الأوروبي الذي ساهم في بناء الحضارة الغربية، فاليهودي يعد روحا لهذه الحضارة، التي دخل إليها في صورة تائه متشرد، فلم يعجبه ذلك فغيرها بفضل فكره إلى صفة مثقف ثم كمواطن اندمج في المجتمع الأوروبي، وعبر مرور الزمن تحول إلى يهودي حديث بابتكاره لفكرتي الاستعمار والرأسمالية، لينتهي به المطاف في صورة يهودي عالمي يفرض سيطرته على العالم.

الكلمات المفتاحية:

علم الصورة، الغيت، اليهودي، مالك بن نبي، الحضارة الغربية.

***

الملخص باللغة الإنجليزية:

Summary:

The book, The Destination of the Islamic World, by Malik Bennabi, presented to us the types of European Jew who contributed to building Western civilization. The Jew is considered the soul of this civilization, which he entered as a vagabond. He did not like that, so he changed it, thanks to his idea, to the status of a citizen in European society, and over the course of time. He turned into a modern Jew by inventing the ideas of colonialism and capitalism, ending up in the image of a global Jew who imposes his control over the world.

Keywords:

imagology, Ghetto, Jew, Malek Bennabi, Western civilization.

***